

لم أعد صغيرة

الطبعة الأولى

١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠ م

تنبيه

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزال مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو أو بأي طريقة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل أو خلاف ذلك إلا بموافقة المؤلف والناشر على هذا كتابة ومقدمًا.

رقم الإيداع

٢٠١٧/٩٤٤٤

بطاقة فهرسة

محمد، مي عصام

لم أعد صغيرة رواية/ مي عصام محمد ط ١ - القاهرة:

دار غراب للنشر والتوزيع: ٢٠١٩

١٨٢ صفحة؛ ٢٠ X ١٤ سم

تدمك: ١-١٠٢-٧٨٦-٩٧٧-٩٧٨

١- القصص العربية

أ- العنوان

٨١٣



دار غراب للنشر والتوزيع

٨ عبارات الواحة - قطعة ١٠

مدينة نصر - القاهرة

ت: ٠١١١٠٣٧١٦٤٠

info@ghorabpublishing.com

تصميم الغلاف

رئد مجدي

التدقيق اللغوي

محمد موالج

التنسيق الداخلي

أحمد البسيوني

لم أعد طفيرة

رواية

مي عصام محمد

إهداء

إلى،

من يسكنون القلب والروح
أولئك الذين لم يزد هم البعد إلا قُربًا
أبي الغالي، أخي وتوأم روحي،
تمنيتُ لو كُنتُم هُنا، وأنا أحاول أن ألمس النجوم محققةً أحلاما شاركتُموني
إياها

لكن، وكما هو الحال، فتلك سنّة الحياة.

ليس كل ما نتمناه نُدرکه..

وإلى،

أحلامي التي لم تلمس واقعا بعد، أعدك أن تكوني يوماً واقعا أعيشه..

بوجهها الصبوح المشرق، وبشرتها البيضاء الصافية، وبعينها اللتين اتسعتا للأمل، استقبلت سلمى صباحاً جديداً. تسللت خيوط فجره الأولى مع نسائم هواء الباردة التي أنعشتها، فأحضرت كوباً من "النسكافية" أخذت في ارتشاف ما فيه ببطء، ومعها كتاب جديد. وبدأت ممارسة هوايتها المفضلة في ذلك الوقت المبكر من اليوم.

كان الكتاب شيقاً، يتحدث عن قضية الحجاب وفضله ومدى أهميته. التفكير فيما تقرأه يسيطر عليها إلى الحد الذي جعلها تترك الكتاب جانبا. ظلت تفكر، تنظر من نافذة غرفتها إلى الطريق بمحلاته الفاخرة، والناس المارين فيه ذهاباً وعودة.

كانت تسكن بإحدى المناطق الراقية في حي مدينة نصر، وتذهب الي مدرستها الواقعة أيضا في ذلك الحي.. جميلة جداً هي، تسر كل من ينظر إليها، متأملاً بشرتها الصافية، وشفثتها الورديتين، وعينها العسليتين، ويقف حاجباها كحارسين لتلك العيون العميقة الواسعة المليئة بالحب، والمفعمة بالأمل والتفاؤل ..

في مقتبل العمر، تحب الحياة ودراستها، تعشق القراءة، كما تعشق كتابة ما يجول بعقلها. تكتب كلما دعته الحاجة لتسجيل خاطر أو فكرة. تلجأ للقلم حين تصبح الحياة قاسية عليها، أو عندما تغمرها الفرحة، محاولة تسجيل تلك اللحظات بكل ما فيها من مشاعر .

أسرتها بسيطة، هادئة مسالمة ومُحِبَّة للإسلام، الأم تلتزم بأداء الفرائض والسُنن، وتداوم على قراءة القرآن الكريم، وفي بعض الأوقات تحضر دروس التفسير والدين في المسجد. رغم ذلك فالأم لم تلتزم الحجاب إلا في سن الخامسة و الثلاثين، بعد سماعها درسا للشيخ الشعراوي رحمه الله. في التسعينيات كانت هناك بعض السيدات اللاواتي يمثل الحجاب هنَّ مجرد غطاءً على الرأس كوالدتها، كما أنه لم يمنعها من وضع مساحيق التجميل، وارتداء الفساتين القصيرة، تلك التي تغطي شبراً واحداً بعد الركبة.. موضة التسعينات لو تذكرون.

نشأت سلمى محافظة على الأذكار والصلاة في مواعيدها، وسماع قصص عن أخلاق الرسول والصحابة، منذ صغرها تحاول جاهدة أن تلتزم بالأخلاق الحميدة، أهلها دائماً يساعدونها في ذلك، لكنها أبداً لم تفكر في ارتداء الحجاب، خاصة أن حديثهم لم يكن يتطرق إليه، لم تكن تعلم أنه فرض إلا بعد ارتداء أمها للحجاب.

انتهت برشفة أخيرة مما تبقى من كوبها، ثم غادرت الشرفة للداخل، ملتقطه ساعة الهاتف، لتطلبصديقته ديبا لإيقاظها استعداداً للذهاب معاً

الى المدرسة، وأنها المكاملة بعدما اتفقت مع صديقتها على الالتقاء في تمام الثامنة بدلا من السابعة والنصف، للذهاب معا كعادتها الى المدرسة.

ديما الصديقة المقربة لسلمى، رقيقة الملامح بشعر مموج، وغمازتين تزيدان ابتسامتها بهاء فوق الوجنتين.. تسكن معها في نفس الشارع، ولها أخ يكبرها بعام، وأخت أصغر منها بثلاث سنوات، تحبهم ويحبونها. أسرة دافئة، متماسكة إلى أبعد الحدود، خاصة علاقة ديما بشقيقتها وشقيقتها، فهما صديقاها المقربان، قبل أن يكونا إخوة.

ربما لكل ذلك أحببتها سلمى .. كانتا صديقتي طفولة، وظلتا كذلك بمرور السنين وتوالي المراحل الدراسية المختلفة، ما بين ابتدائية واعدادية وثانوية..

في المرحلة الثانوية، كان الحجاب يغلف رؤوس الكثيرات من أصدقاء سلمى، لكنه في تلك الفترة كان بعيداً كلَّ البعد عن تفكيرها.. إلى أن تكلمت معها زميلتها خديجة المعروفة في المدرسة بالتزامها وتدينها.. وقالت لها إنَّ الحجاب فرضٌ ولا بدَّ للفتاة المسلمة أن ترتديه..

سلمى بالفعل مقتنعة أنه فرض ولكنها لم تقنع أبداً بأنه من الممكن أن ترتديه قبل أن تلتزم في ملبسها، فهي ما زالت تلبس الجيبات القصيرة والشورت، وبالتالي، ففكرة الحجاب بالنسبة لها مؤجلة..

ذات يوم أحضرت خديجة لسلمى كتاباً عن الحجاب، قالت لها: إنَّ عليها قراءته بتمعن وتركيز قبل فوات الأوان. بالفعل بدأت القراءة، الكتاب

يتحدث بأسلوب الترهيب، مما جعلها تشعر بالخوف على عكس الكتاب الذي قرأته من قبل، فانتابها شعورٌ بأنها شديدة البعد عن الله تعالى. وقد أصبحت بالغة، ووجب عليها، شرعاً، أن ترتدي الحجاب وتلتزم باللبس المحتشم الذي يداري مفاتها. وحاولت أن تتناقش مع أهلها في ذلك الأمر..

استغرب والدها الخوف الشديد الذي يلون وجه ابنته، قرأت عن الجحيم وما أعدّ للعصاة، والكتاب جعلها تفكر في جهنم، حاول والدها أن يهدئ من روعها:

- سلمى يا حبيبتي، الحجاب فعلاً فرض وربنا إن شاء الله يكرمك بيه، بس أنا شايف إنك مش مستعدة للخطوة دي، الحجاب مسئولية ولازم تلتزمي بشروطه، مينفعش تكوني محجبة ولا بسه ضيق، مينفعش تكوني محجبة ولا بسه قصير، خطوة خطوة وربنا يعيننا جميعاً على طاعته.

حديثه هدأ من روعها، نظرتها تتفق مع نظرة أبيها. قالت لنفسها: إن خطوة الحجاب تحتاج بالفعل إلى خطوات تسبقها حتى تكون صحيحة..

وعندما جلست مع خديجة يوماً آخر، تناقشت معها في مضمون الكتاب، وأن الحجاب بعيدٌ عن تفكيرها في تلك الفترة، وأنها ستفكر في الأمر لاحقاً. فقالت لها خديجة:

- بعدين، بعدين امتى؟ كمان انتي ضامنة يبجي عليكى بعدين، ما انتي ممكن في أي لحظة تموتي، هتقابلي ربنا ازاى، وانتى متبرجة، طيب هتقولي لربنا إيه؟

ولأن سلمى بفطرتها تخاف الله، وترجو الجنة وتخاف من عذاب النار، أحست بالفزع من كلام خديجة، مما كان سبباً في سكوتها وعدم قدرتها على أن تتفوه بأي كلمة. فنظرت خديجة لها قائلة:

- ربنا يهديكي.

استمر تفكيرها في ذلك الموضوع أياماً طويلاً، وأخذت تفكر أكثر بكلام خديجة، فكلامها مخيف ومرعب.. ثم شُغلت بامتحانات الثانوية العامة، وتركت أمر الحجاب إلى أن يشاء الله..

انتهت المرحلة الثانوية، والتحقت دينا بكلية التجارة جامعة حلوان، أما سلمى فلم تتمكن من الالتحاق بكلية الإعلام التي كانت تتمناها، واختار لها مكتب التنسيق كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية بجامعة عين شمس.. حزنت كثيراً لأنها منذ صغرها تحلم بالعمل في مجال الإعلام وتحلم أن تصبح مذيعة مشهورة ومحترمة.. تقدم برامج هادفة تفيد الناس والمجتمع.. ولكن حياة الإنسان ومستقبله ليس ملك يديه يصرفه كيفما شاء...

إنها المشيئة التي لا دخل لنا فيها، فنحن نجتهد لكن ليس علينا إدراك النجاح.. الحياة تدفعنا إلى مسالك لو خُيرنا بينها وبين ما نحب لما اخترناها وما سلكناها.. فالأمر ليس منه بُد.. وعلينا ألا نزدري ولا نستخف بأي مجال فربما يكون هو الأفضل..

رغم كرهها لدراسة الآداب، إلا أنها قررت أن تجتهد في كليتها، وأن تضع حلماً آخر وهو النجاح بتفوق في دراستها التي اختارها الله لها، دون أن تتنازل

أبدأ عن حلمها في أن تصبح مذيعة يوماً ما، ولكن أصبح أمر الإعلام بالنسبة لها مؤجلاً إلى أن تنتهي من المرحلة الجامعية بنجاح..

وعندما التحقت بالجامعة، قابلت كثيراً من البشر، فهناك الفتاة المترجمة التي لا يدل مظهرها أبداً على أنها فتاة جامعية، وهناك الفتيات اللاوتي يرتدين النقاب ولا يظهر منهن سوى العين، وهناك من هم مثلها في الملبس وأيضاً لا يرتدين الحجاب، وهناك من ترتدي الحجاب دون مراعاة لملبسها الذي لا يليق به.. وهناك من ترتدي الحجاب بمفهومه الشرعي فهو لا يصف ولا يشف..

ونفس الحال بالنسبة للشباب فهم أشكالٌ وألوان، فمجتمع الجامعة مختلف تماماً عن المدرسة، الجامعة عالمٌ آخر، تختلف شخصوه وتكويناته..

التحقت خديجة أيضاً معها بكلية الآداب، في قسم آخر فلم تكن تراها إلا قليلاً. وتعرّفت في الجامعة إلى مجموعة من البنات والشباب الذين أحست أن تفكيرهم قريب منها، وسعدت جداً بتعرفها إليهم والقرب منهم..

معظم زميلاتنا كُنَّ يرتدين الحجاب، ليس الحجاب الشرعي ولكن الطرحة القصيرة، والبنطلون والقميص، وكانت أخلاقهن عالية.. فهن مثلها ملتزمات بالصلاة، وتتعاملن باحترام مع الجميع..

هذه المرة، فكرت سلمى جدياً في أمر الحجاب، فهي ترى أن كل ما تحتاجه أن تغطي ذراعيها، وأن ترتدي ملابس لا تكشف، والموضوع ليس صعباً.

.. وبالفعل ارتدته ..

وعندما ذهبت للجامعة تلّقت التبريكات والتهاني من الجميع، وكانت سعيدة جدًا بتلك الخطوة، وسعيدة أكثر بفرحة أصدقائها لها.. وفرحت أيضا دينا لها التي رأتها صدفة أثناء عودتها من جامعتها، وبالوقت والدراسة أصبحت علاقة دينا وسلمى قاصرة في أغلب الأحيان على مكالمات هاتفية، على الرغم من أنهما تسكنان نفس الشارع، لكن مواعيد المحاضرات، و اختلاف جامعتيهما، وانشغال كليهما، جعل كل واحدة في وادي منفصل عن الأخرى.

و ذات يوم بعد شهر من حجابها قابلت خديجة بالصدفة، كانت تنتظر أن تراها بفارغ الصبر حتى ترى حجابها وتسعد به، ولكن للأسف لم يحدث ما توقعته، فخديجة عندما رأتها قالت لها بأسلوب غريب:

- ده مسموش حجاب يا سلمى، البنطلون الضيق ده مينفesch على الحجاب!
صُدمت سلمى من كلام خديجة، وأطرقت ذاهلة مندهشة، كمن يعي ما يسمع لكنه لا يُقرُّه أو يقبله، فلم تستوعب كل ما قالته بعد، ولم تسمع باقي حديثها لشدة صدمتها..

رجعت البيت باكية، متعجبة من هذا الأسلوب الفظ، تساءلت: لماذا يوجد أناس تخصصوا في الهدم، بدلا من البناء؟.. لماذا يوجد أشخاص يحاولون نزع فرحتك والتقليل من شأنك ومن شأن أي شيء جميل تحاول القيام به؟ ثم لماذا يشعرونك بأنك ارتكبتَ إثماً لا سبيل للتوبة عنه؟

ولكن سلمى حاولت أن تتجاهل كلامها، تعرف في قرارة نفسها أنها تسعى إلى رضى الله ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، ولكن من الصعب عليها أن تلتزم بكل الخطوات مرة واحدة..

فالله الذي هداها للحجاب قادر على زرع اکتمال الحالة في عقلها، وربما في الغد ستجد نفسها تلتزم التزاما كليا..

في نفس اليوم اتصلت بها خديجة واعتذرت لها على كلامها، وباركت حجابها، وعبرت عن حبها الشديد لها، لذلك فهي تريدها أن تكون من أفضل البنات وأكثرهم التزاماً..

ولكن فرحتها كانت حقيقية.. وكلماتها وتمنياتها كانت صادقة.. كانت جميلة الأسلوب، لمست قلب سلمى بكلامها الطيب، تهلل وجه سلمى وغمرتها السعادة. وكعادتها حين عادت الى البيت، أمسكت بقلمها والمفكرة الصغيرة التي تدون فيها ما تشعر به وكتبت :

"حقاً، الكلام الطيب له أثرٌ طيبٌ في نفوس الآخرين، كالشجرة المثمرة، فالشجرة تؤتي ثمارها الطيبة، وتظلنا بظلها وتعطينا ما يلزم للحياة، فكما وهب الله الشجرة كل هذه المميزات فكذلك الكلمة الطيبة دائماً مثمرة ونافعة.."

مرت الشهور، وتفوقت سلمى في السنة الأولى في كلية الآداب، جعلت كل تركيزها في كليتها ودراستها، فهي لا تهتم مثل بنات سنها بالحب والارتباط، ولا تهتم بالذهاب الى النوادي والكافيهات، هي فقط تهتم بأحلامها، وتفكر

في كيفية الوصول إليها بأي وسيلة متاحة. حلمها محدد، واضح، ولديها رغبة جامحة لتحقيقه مهما كلفها ذلك، وهذه الرغبة تملأ عقلها وقلبها..

واستمر نجاحها في السنة الثانية، وفي السنة الثالثة عرض عليها صديق والدها التدريب كمرشدة سياحية في شركته السياحية، فهو يعلم أنها تتقن اللغة الإنجليزية والفرنسية، واللغة الألمانية لديها ليست بالسيئة..

استبشرت ورحبت جداً بهذا العرض وذهبت إلى شركته السياحية، انبهرت بكل ما فيها، مظهر الموظفين، ولباقتهم في الكلام. وزاد ذلك الانبهار عندما بدأت تذهب إلى الأماكن السياحية بصحبة الأجانب والمرشدين الذين تعلمت منهم كثيراً..

تعرفت إلى كثير من الجنسيات، فهناك سياح كانوا يأتون للتنزه في مصر أسبوعاً أو أقل، ولكن كانوا يظلون على تواصل معها حتى بعد عودتهم إلى أوطانهم. فوجود مواقع التواصل الاجتماعي سهل التواصل بين الناس في جميع البلاد، كأننا نعيش في مكان واحد وليست بلاداً متفرقة بعيدة كل البعد عن بعضها البعض..

تخرجت سلمى من الجامعة في الثالثة والعشرين من عمرها.. ولأنها متفوقة تفوقاً شديداً التحقت بالعمل في شركة كبرى، لديها فروع كثيرة في كل أنحاء العالم. ولكن ذلك لم يمنعها عن رغبتها في تحقيق حلمها في مجال الإعلام، فكانت لا تتأخر عن تقديم سيرتها الذاتية لكل القنوات التي تفتح مجالاً للتوظيف..

كانت صديقتها (سوليمر) التي عرفتها خلال فترة تدريبها في الشركة تُلح عليها كثيراً لتذهب لقضاء بضعة أيام معها في إسبانيا؛ فكثيراً ما حدثتها عن الأماكن الجميلة هناك، وعن جزر البليار وكنيسة العائلة المقدسة التي يأتيها السياح من كل أنحاء العالم. لكن سلمى دائماً ما كانت تواجه الاعتراض من أبيها وأمها، بحجة أن تقاليد مجتمعنا لا تسمح للفتاة بأن تسافر بمفردها خارج البلاد..

و شاء الله أن يكون خالها ذاهباً إلى هناك لمدة أسبوع لقضاء أعماله هناك، ومن هناك سيسافر إلى فرنسا أسبوعاً آخر فعرض عليها أن تذهب معه وتقضي أول أسبوع في إسبانيا معه ومع سوليمر وعائلتها على أن تقضى معهم النهار فقط وتتجه إلى الفندق ليلاً للمبيت مع خالها، وتقضى ليلتها وتنام بال غرفة المجاورة له.

وبالطبع رحبت سلمى بالفكرة وساعدها خالها في إقناع أهلها بالموافقة.. أسعد لحظات حياتها عندما وافق أهلها على السفر، وأبلغت سوليمر أنها ستصل إسبانيا بعد بضعة أيام ..

وبدأت رحلتها إلى إسبانيا، التي غيّرت فيها الكثير، حقاً إنها بلد جميلة بكل ما تحمله الكلمة من معنى ..

استقبلتها سوليمر في المطار، وذهبت معها هي وخالها حتى تترك حقائبها في فندق " فينسي البيزن " الذي يقع في وسط غرناطة ويتميز بالطراز

الأندلسي"، على أن تكمل باقي اليوم معها، وبالفعل ذهبت سلمى معها إلى بيتها، وتعرفت على عائلتها..

تلقت سلمى ترحاباً لم تتلقه في أي مكان من قبل، قابلت والدتها سليمان سلمى بابتسامه عريضة مليئة بالإشراق والأمل، قابلها والد سليمان وهو يحمل بعض الورد ليعبر لها عن فرحته بزيارتها لهم، أما أخواتها الصغار فقد استقبلوها بحفاوة بالغة..

ذهبت سلمى معها للنزهة ولمشاهدة بعض الأماكن الرائعة في إسبانيا، بدأت الرحلة بجزيرة "إيبيزا" وهي جزيرة من جزر البليار، تقع جنوب إسبانيا وسط البحر المتوسط، تشتهر بحياة الليل والحفلات؛ حيث تحتوي على الكثير من النوادي الليلية، كما أن بها الكثير من المطاعم الساحرة التي تطل على البحر..

استمتعت سلمى بالجزيرة ايما استمتاع، كما استمتعت أيضا سليمان رغم أنها كثيرا ما قامت بزيارتها، لكن تلك المرة كانت مختلفة، لأنها معها صديقتها، مما زاد من فرحتها واستمتاعها بشواطئ الجزيرة الرملية وسائرها الزرقاء الصافية وبحرها الرائع الشفاف الذي يشبه الكريستال وموقعها المتميز جعلها غاية في الروعة والجمال، والطبيعة الساحرة والأجواء الممتعة كادت أن تسيها عالمها تماما؛ عالم لم تحلم به يوماً، شعرت كأنها تتجول في لوحة سحرية بالألوان الطبيعية..

ثم عرضت عليها سليمان أن ينتقلا إلى شاطئ "سيس سالينيس" الذي يبعد حوالي ١٠ كم عن الجزيرة، ويعتبر من أهم الشواطئ في إسبانيا، فهو

شاطيء طويل رمليّ دائماً ما يقصده السائحون للاسترخاء والاستراحة من أيّ ضغوط، حتى أن كثيراً من الزوجات في دول أوروبا يخافون أن يذهب أزواجهن إليها وحدهم، فهناك دراسة تسمى "رحلة الحب" أوضحت أن نسبة كبيرة من السيّاح عندما يريدون نسيان حبيباتهم يلجئوا إلى تلك الجزيرة، كما أنها يطلق عليها أيضاً من قبل بعض الناس "عشّ الحب" ..

وبعد يومين اصطحبتها سوليمر ووالديها إلى برشلونة لزيارة كنيسة "ساغرادا فاميليا" أو كنيسة العائلة المقدسة التي تعتبر نبض برشلونة، وتعد الكنيسة من أضخم الكنائس في أوروبا ..

ذهلت سلمى من ذلك الصرح الضخم ونظرت إلى صديقتها قائلة:

- أنا مش مصدقة يا سوليمر!! معقولة فيه أماكن في العالم روعة كدة!!
كمان المكان فيه روحانية جميلة.

فابتسمت سوليمر قائلة إن ذلك الصرح الضخم مليء بتلك الروحانية؛ حيث إن المهندس المعماري الذي قام بإنشائه "أنطوني جاودي" كان متمسكاً بديانته المسيحية الكاثوليكية، مما جعله يُسَخَّر سنوات عمره في تصميمات مميزة للكنائس، حتى أنه أطلق عليه في برشلونة "قديس الفن المعماري" ..

مبنى الكاتدرائية ضخم جداً، وله ثلاث واجهات مختلفة هي واجهة الشوق، واجهة النصر، وواجهة المهد؛ فلكل واجهه تصميم مختلف عن الأخرى، وكل واجهه تحكي قصة مختلفة في حياة المسيح ..

كان ما لفت نظرها أكثر هو طبيعة الناس.. فالابتسامة لا تُفارق الوجوه..
والحياة مُفعمة بالحب، وعندما يعرف أحد أنها مصرية يزيد الترحاب بها
والحديث معها عن حبهام لمصر، كانت سعادتها .. أقرب إلى يمامة تتهادى
في الفضاء الكبير ..

أوشكت الرحلة على الانتهاء ولم يتبق سوى يومين فقط، اتفقت سلمى
مع سوليمر أنها سيقضيان يوماً في التسوق وشراء هدايا تذكارية لأهل سلمى
وأصدقائها، واليوم الآخر سيقضياه في مدريد العاصمة لزيارة "القصر
الملكي" أو كما يسمى "قصر ريال مدريد" ..

وبالفعل قاما بقضاء اليوم الذي يسبق سفرهما في مدريد، فالقصر
الملكي بمدريد هو المقر الرسمي للعائلة الملكية في إسبانيا، ولكنهم
يستخدمونه فقط في الاحتفالات الدولية والمناسبات، وباقي الأيام مفتوح
للجمهور لزيارته والاستمتاع به، فيعتبر قصر ريال مدريد ثاني أكبر القصور
في أوروبا الغربية بعد قصر اللوفر ..

انبهرت سلمى فور دخولها للقصر الذي تم بناءه بالحجارة البيضاء
والجرانيت والرخام، والذي يتكون من ثلاث طوابق رئيسية إلى جانب
ثلاث طوابق أخرى تحت كل طابق رئيسي، وبه العديد من النوافذ التي تزيد
عن ٨٠٠ نافذة تطل على الفناء الكبير ..

شعرت سلمى بعقب التاريخ من خلال ذلك القصر الضخم، فكان يحتوي
على العديد من الغرف والقاعات التي تضم الكثير من التماثيل القديمة،

والأثاث والسجاد واللوحات الجدارية، إلى جانب المعارض التي تحتوي على لوحات فنية رائعة من بينها لوحات للفنان فيلاسكيز وكارافاجيو..
رأت سلمى خلال رحلتها لإسبانيا أخلاقاً راقية ورائعة لم ترها من قبل،
رأت مساعدة جميع من حولها لها بحب واحترام..

في إسبانيا لا يوجد شخص يتدخل في حياة الآخر، لا يوجد تحرش رغم أن النساء تمشي شبه عارية في الشوارع العامة بكل حرية وارتياح.. هناك رقي وسمو في الأخلاق..

عرفت سلمى من سوليمر أن تلك البلد لا يوجد فيها ديانة محددة، فهناك الكثير من الملحدين وهناك أيضاً نسبة من الديانة الكاثوليكية التي تنتمي لها سوليمر، وهناك قليل من المسلمين ولكنها لم تلتق بهم خلال رحلتها..
عرفت أيضاً منها أن المدارس هناك تضع الطلاب بين خيارين، إما دراسة الدين الكاثوليكي كمادة دراسية، أو استبداله بمادة الأخلاق، فالأخلاق هناك تدرس في المدارس.. وتظهر فعلا في كل تعاملاتهم وصفاتهم..

رأت هناك الكثير من صفات المسلمين من سمو النفسي والتسامح والترحيب بالزوار واحترام النظام والقانون الذي يطبق على الصغير قبل الكبير، على الرغم من أنها لم تر أي شخص مسلم..

كانت دائمة المقارنة بين كل ما تراه هناك وبين ما تراه في مصر، رغم حبها وعشقها لمصر إلا أنها تمت أن تعيش في مكان مثل هذا، أن تعيش في مكان يحترم حقوق الآخر، أن تعيش في مكان يوجد فيه عدالة وحرية واحترام..

أستعدت سلمى لمغادرة ذلك البلد الجميل الذى ذابت فيه عشقًا، وبعد أن جهزت حقائبها أمسكت بمدونتها وقلمها وكتبت ما تشعر به :

"مرَّ الأسبوع كأنه عدة ساعات، الأوقات الجميلة دائماً تمر بسرعة رهيبة كسرعة البرق، لذا يجب علينا أن نستمتع بها قبل أن تمضي وتتركنا لأنها لا تعود بسرعة بل نظل ننتظر مثلها أيامًا وشهورًا وربما سنوات، فهي تشبه النجوم عندما نبدأ بالاستمتاع برويتها تفاجئنا باختفائها مع خيوط الفجر الأولى على عكس الأوقات السيئة التي لا تمر من الأساس..

انتهت رحلتها في إسبانيا وسافرت مع خالها إلى فرنسا على وعد من سوليمر أن تأتي هي لزيارة مصر خلال الأشهر القادمة..

كان الاتفاق مع أهلها على أن طيلة الأسبوع في فرنسا ستقيم عند خالتها دعاء، فخالتها تزوجت منذ ثلاثين عامًا وسافرت إلى فرنسا ولا تأتي مصر إلا كل خمس سنوات مرة واحدة..

استقبلتها سارة ابنة خالتها في المطار، علاقتها بسارة سطحية جدًا، عبارة عن بعض الرسائل من خلال البريد الإلكتروني في المناسبات والأعياد، "مع العلم بأن هذه العلاقة هي العلاقة العصرية التي تنشأ بين الناس والأقارب في البلد الواحد مع قرب المسافات بينهم" ورغم أن فارق السن بينها ليس كبيرًا فهي تكبر سلمى بثلاث سنوات، حاولت سلمى كثيرًا في الماضي أن تقترب منها وأن ترسل إليها الكثير من الرسائل لكن سارة كانت كثيرًا لا تجيب على رسالتها..

استقبلتها سارة وهي ترتدي (هوت شورت جينز وبادي) بحمالة واحدة، سارة شديدة الجمال؛ شقراء وعيناها زرقاوتين، عندما وقعت عين سلمى على سارة فرحت كثيراً، على عكس الحال من سارة التي استغربت سلمى وأسرعت على خالهما واحتضنته، ونظرت نظرة مليئة بالاستغراب إلى سلمى، لم تفهم سلمى سر هذه النظرة، ولكن سرعان ما ابتسمت كلتاها وتبادلتا السلامات والقبلات..

وفي الطريق رأت سلمى ما لم تره عيناها قط؛ فهم يسكنون بالقرب من شارع الشانزليزيه الشهير بالعاصمة الفرنسية باريس، طوال مدة الطريق وسارة تشرح الشوارع والأماكن الجميلة التي يمرون عليها، وتعد سلمى برحلة ممتعة خلال الأسبوع..

وصلوا إلى منزل الخالة، فهو منزل راقٍ مليء بالتحف الجميلة واللوحات المرسومة، لم تر سلمى خالتها منذ عشر سنوات، لكنها دائماً ترى صورها عند أمها، فخالتها جميلة جداً وأنيقة في ملابسها، شعرها الذهبي الفاتح يزيد بشرتها البيضاء جمالاً، جلسوا سوياً وكان وقتاً ممتعاً، إلى أن استأذن الخال حتى يباشر أعماله على أن يأتي لتناول الغداء معهم بعد يومين..

طلبت الخالة من سارة أن تصطحب سلمى إلى الغرفة التي ستقيم بها حتى ترتاح من تعب السفر، وذهبت سارة إلى مشوار ما على أن تعود بعد قليل لقضاء الباقي من اليوم مع سلمى..

ومرت ساعات اليوم وسلمى مستغرقة في نومها، وعندما عادت سارة أيقظت سلمى من نومها، واستعدت للذهاب مع سارة لقضاء وقت ممتع، وعندما وقعت عين سارة على ملابس سلمى سألتها باستنكار شديد:

- انتى هتنزلي كده..

فنظرت سلمى لها بحيرة وقالت:

- مالي كده!؟

ظلت سلمى في حيرة عندما صمتت سارة، سألت نفسها ترى ماذا تقصد سارة؟، هل ألوان الملابس غير متناسقة؟، أم أن هناك شيء آخر؟ ولكنها سرعان ما أدركت أن نظرة سارة الاستنكارية لها بسبب حجابها..

نزلا سوياً بعد تلك النظرات الصامتة، ذهبا إلى برج إيفل؛ فهو رائع فعلاً مثلما كانت سلمى تقرأ عنه، جلسا في الطابق الثاني به في مطعم "لو جون فيرن" كان منظر باريس من داخل البرج رائعاً، شيء خيالي من الجمال والروعة..

تحدثت معها سارة عن طبيعة عملها وعن حياتها في باريس، وإذا بشاب طويل يلبس حلقاً في أذنه ويأتي إلى جانبها ويحتضن سارة ويُقبلها، لم تتعجب سلمى من ذلك المنظر فعملها كمرشدة سياحية عرفها على كثير من الثقافات، ولكنها لم تتوقع أن تكون سارة متأثرة بثقافة فرنسا لهذا الحد، ولم يُجل بخاطرها كل هذا الانسلاخ من العادات والتقاليد العربية التي تربت عليها بكل أشكالها ومظاهرها، ولكن حاولت أن تُنجي دهشتها، عرفتها

سارة على مايكل وقالت لها إنه صديقها منذ الطفولة، وقضى الثلاثة وقتًا جميلاً معًا ثم عادت سارة وسلمى إلى المنزل..

وفي اليوم التالي قررا التسوق في شارع الشانزليزيه الشهير، كانت سلمى سعيدة جدًا بزيارة ذلك الشارع ولكن سعادتها للأسف لم تكتمل، فقد رأت بأم عينها نظرات استنكارية من كثير ممن حولها، كانوا ينظرون لها على أنها شيء غريب، ليتها كانت نظرات استنكارية فقط، لكن هناك البعض كان ينظر نظرات استهزائية مقززة، كأنها صندوق من القمامة يسير بجانبهم..

لم تقوَ سلمى على التماسك وسالت دموعها وطلبت من سارة أن يعودا إلى البيت، ولأول مرة تشعر سلمى أنها ضعيفة الإيمان، كان عليها أن تكون فخورة بحجابها ولا تبالي بنظرات الآخرين، كان عليها أن تشعر بأن حجابها تاجٌ على رأسها، أن تكون متماسكة وفخورة بحجابها وفخورة أكثر بالتزامها بأوامر دينها وفروضه، ولكن للأسف لم يحدث أي شيء من تلك الأشياء.

حاولت سارة تهدئتها وشرح الأمر لها، أوضحت لها أنه منذ فترة وفرنسا والفرنسيون يكرهون الحجاب أو أي مظهر إسلامي، وأنهم يخافون من زيادة عدد المسلمين في البلد..

قالت لها إن ذلك المنطق العلماني لا يتحكم فقط في الشوارع ولكنه وصل أيضًا إلى المدارس والجامعات، فلا يحق للطلاب أن يظهروا بأي مظهر أو رمز ديني مثل الحجاب بالنسبة للمسلمات والصلبان الكبيرة التي توضع على الصدر بالنسبة للمسيحيين، والقلنسوة اليهودية بالنسبة لليهود، وقالت أيضًا

إن المسلمين يشعرون أن هذا القانون وُضِعَ مخصوصًا لمنع الحجاب ولكنهم حتى يتجنبوا الفتنة منعوا جميع المظاهر الدينية الأخرى..

تذكرت سلمى النظرة التي نظرتها سارة لها عندما رأتها أول يوم في المطار وأدركت مغزاها، فكانت تلك النظرة بسبب حجابها، لأن بالنسبة لبلدهم في تلك الأيام كان شيئاً مضطهداً ويسبب الكثير من المشاكل..

أصبحت سلمى في حيرة فلم يتبق سوى أربعة أيام على انتهاء رحلتها وعودتها إلى مصر، ليس من المعقول أن تقضيها في البيت، سألت سارة إذا كانت هناك أماكن يمكن زيارتها ولا يؤثر مظهر الحجاب فيها، ولكن سارة أوضحت لها أنها السنة الثانية لهذا الاضطهاد، ومن الممكن أن تتعرض له في أي مكان تذهب إليه، شعرت سلمى بالحزن وبكت كثيراً، واتصلت بخالها لتحكي له، ولكنه طلب منها تأجيل الكلام إلى أن يحضر ويتحدثا سوياً..

والغريب في الأمر هو ما قاله لها الخال بخصوص ذلك الموضوع عند حضوره لهم، فقد قال لها:

- يا سلمى هما ٤ أيام فاقلعي الحجاب".

استغربت سلمى جداً من كلامه خصوصاً أنه على قدر كبير من التدئين، كان يدرس الدين والفقه في الأزهر الشريف، عبرت سلمى بانفعال له عن رفضها لما يقوله وأنه يجب عليها الالتزام بدينها وحجابها، فضحك الخال قائلاً:

- ما الدين برضه هو اللي قال كدة!

نظرت إليه صامتة نظرة مليئة بالحيرة، نظرة تحتوي ألف سؤال، فأكمل كلامه قائلاً:

- يا سلمى يا حبيبتى، ربنا أمر النساء بالحجاب عشان يكون سترة لهم ويحفظهم من المعاكسات أو إن حد يبصلهم، فدلوقتي الوضع مختلف، هنا لو لبستي الحجاب ده الي ممكن يخلى الناس تضايقك بنظرتهم وتعليقاتهم وهيلفت نظر الناس ليكى لأنه غريب عليهم فطبعي الكل هيبص على الشيء الغريب، فانا من وجهة نظري شايف أن بالعكس اتتى ملزمة إنك تقلعيه عشان تحفظي نفسك.

وبعد مناقشات طويلة بينها، لم تقتنع سلمى بما قاله الخال، وقررت أن تقضي الباقي من الأسبوع بحجابها، لكن ليس من الضروري أن تذهب إلى الأماكن المزدحمة، والأهم أن تحاول ألا تهتم بنظرات من حولها..

انتهت رحلتها إلى فرنسا وعادت مع خالها إلى مصر، طيلة رحلة الطيران تدور في رأسها مئات الأسئلة فيما حدث معها .. تفكر في كلام خالها بخصوص نزاعها لحجابها في فرنسا، وبعد التفكير الطويل لم تقتنع به بالمرّة، فهي غير مُجبرة على نزع حجابها خصوصاً أنها في تلك البلد للترهة ليس لأمر ضروري يضطرها أن تتعامل مع أهل البلد والمضطهدين للحجاب..

وفكرت كثيراً أيضاً فيما رآته من خالتها من عدم الالتزام بالحجاب أو الملبس المحتشم على الرغم من أن جدها رحمه الله كان عالماً من علماء الأزهر، وأن أمها وخالتها تربيًا على الأخلاق والدين، ثم تذكرت أمها فهي أيضاً لم

ترتدِ الحجاب إلا بعد سن الخامسة والثلاثين وكان جدها على قيد الحياة، كيف كان الجد يرى ذلك ولا يتكلم وهو رجل الأزهر الذي يُعلم الدين للناس، كيف له أن يكون شيخًا كبيرًا وابنته لم ترتدِ الحجاب وتلتزم بتعاليم الدين، أسئلة كثيرة دارت برأسها ولم تجد لها إجابة شافية..

بدئت سلمى في قراءة كتاب جديد، وبعد أن قرأت عشر صفحات أحست بممل شديد فأرادت أن تغير من ذلك الشعور، أغلقتة ووضعتة جانبا وأخذت تبحث عن مدونتها الصغيره لكن لم تجدها، فتناولت قلمها وأقرب ورقه لها وبدئت في كتابه ما يجول في خاطرها :

" إن معرفة الدين وتطبيقه تختلف من شخص لآخر.. فنجد من الناس من يعرف الدين جيدًا ولكنه لا يطبقه رغم أن بعض هؤلاء الأشخاص بارعون في الحديث عن الدين وهم لا يلتزمون بتعاليمه، ويوجد من الأشخاص من لديهم حماسٌ كبيرٌ نحو الدين ويحاولون تطبيق كل شيء رغم أنهم لا يعرفون الكثير عنه.

بعد عودتها مصر.. كان أول ما قررت فعله هو الذهاب لدار الإفتاء لمعرفة رأي العلماء في كلام خالها، وهل يجوز لها خلع الحجاب في البلاد التي تضطهد المحجبات، وأجابت دار الإفتاء بأنه لا يجوز خصوصًا أنه لا توجد ضرورة من تواجدتها في تلك البلد.. ارتاحت سلمى وحمدت الله الذي هداها أن ترفض كلام خالها ولم تعمل به..

وبعد أيام .. ذهبت سلمى لزيارة دينا صديقتها، فمنذ خمس سنوات بدأت تضعف العلاقة بينهما أكثر وأكثر عندما تعرفت دينا على صديقة لها من الجامعة تسمى نرمين وأحببتها كثيرًا، فشعرت سلمى أن دينا تحاول الابتعاد عن كل الأصدقاء وتكتفي بصديقتها الجديدة.. لكن ذلك لم يمنعهم من التقابل كل فترة ..

وبعد أن كانت تراها سلمى مرتين أو ثلاث كل شهر، أصبحت تراها مرة واحدة كل شهرين أو أكثر، لكنها تلك المرة تشاق لها فاتصلت بها لتحدد معها موعدًا وتفاجأت عندما عرفت من والدة دينا أن دينا مريضة، فذهبت لزيارتها على الفور ..

وأثناء زيارتها لهم كانت دينا وأخوها وأمها يجلسون مع جيرانهم، سيدة يبدو أنها في أواخر الخمسين من عمرها ومعها ابنها في أواخر العشرين، جلست سلمى معهم لمدة ربع ساعة، ثم أخذتها دينا وجلسوا في غرفتها.. تحدثا كثيرًا وحكت كل منهما عن أخبارها الجديدة.. حكّت دينا لسلمى عمّا تشعر به من مشاعر جميلة تجاه عمرو صديق محمد أخيها..

لكن سلمى استغربت كلامها فما تعرفه أن دينا مرتبطة عاطفيًا بشخص آخر يدعى هيثم وهو أيضًا صديق محمد أخيها.. وعندما سألتها هل تركت هيثم فكان ردها:

- والله يا سلمى زى ما أتى عارفه أنا عمري ما حبيت هيثم، لكن أنا كنت شايفه أنه بيحبني جدًّا عشان كده ارتبطت بيه، وطول ال ٦ شهور فترة ارتباطنا مقدرتش للأسف أحبه، فأنا قررت إني إن شاء الله هابعد عنه.

قالت لها سلمى مستهمة :

- طب وايه اللي مخليكي مستمره في لموضوع ده ؟؟ .. ماتقوليله ؟؟

- مش عارفة أجيبها لوازاي .. هيثم متعلق بيا أوي يا سلمى .. محتاجني

أوي .. تقدرني تقولي كدا اني بالنسبة حياة .. كل ما أجي أصارحه تقولي لأ

استني .. مش دا الوقت المناسب .. مش عايزة أكون سبب في جرحه ..

- يا بنتي بس انتي كدا مع الوقت هتجرحيه أكثر ..

فدار في رأس سلمى سؤال، بما أن هيثم وعمرو أصدقاء محمد أخيها فهل

كليهما يعرف الآخر، ووجهت السؤال لديها فتنهدت دينا وقالت:

- هيثم أنتيم عمرو.

ذهلت سلمى مما قالته صديقتها، فكيف تُعجب بشخص على علاقة

قوية بالشخص الذي ترتبط به، وكيف لها أن تعجب بشخص من الأساس

وهي على علاقة بآخر، وأحست أنها لا تفهم شيئاً فسألتها إذا كان إعجابها

بعمرو متبادلاً، أم أنها تعجب به وهو لا يعلم شيئاً، فقالت لها دينا إنها معجبة

جداً به وتشعر أنه يبادلها شعورها، ولكن لأنه يعرف جيداً أن هيثم صديقه

يعشقها فهو يحاول أن يداري مشاعره، ولذلك هي تتمنى أن تنهي موضوع

هيثم سريعاً لعل وعسى يعترف عمرو لها بحبه .. فقالت سلمى بنبرة صوت

حزينة:

- بس يا دينا حتى لو كلامك صح وهو معجب بيكي، ممكن أوي لما

تسيبي هيثم برضه ميفكرش في الارتباط بيكي لأن صاحبه بيحبك.

صممت ديبا كأنها لم تفكر في كلامها من قبل وقالت لها:

- والله يا سلمى أنا مش عارفة بكرة فيه إيه، بس أنا حاسة أوي إن هو بيحبني، ومش عارفه ليه حاسة انه هيكون من نصيبي من أول يوم شفته فيه ومن قبل حتى ما اعرف أي حاجه عنه أو حتى اسمه، عامة يا سلمى أنا كل اللي بفكر فيه دلوقتي أزاى هاقدر أنهي موضوع هيشم من غير ما أجرحه.

أنهت سلمى معها الحوار متمنية أن يرزقها الله الخير وحسن التصرف، عندما عادت سلمى إلى المنزل، وأثناء ركنها السيارة عند باب العمارة فوجئت بأخيها سيف وهو يمسك بسيجارة في يده، وعندما لمحها ألقاها في الأرض سريعاً، كان يظن أنها لم تره ولكنها رأته وحنزت كثيراً..

هل تغير شقيقها الى وكبر في السن إلى حد شرب السجائر؟؟، أم أنه جرب شربها ليعرف مذاقها فاستهواه حتى أدمنها، أم أنهم قرناء السوء الذين يُعرضون غيرهم على القيام بهذه العادة السيئة، أم أنها قلة الوعي الديني والاجتماعي بخطورة هذه العادة المقيتة، بالفعل لم يصبح سيف الصبي الصغير الذي كانت تخرج من المنزل تتسحب على أطراف أصابعها حتى لا يراها ويبيكي لتصطحبه معها، لقد كبر وأصبح في السادسة عشر من عمره..

أخذت تفكر كثيراً فيما يجب عليها أن تفعله، هل تُخبر أمها وأباها بما رأته وهما يتوليان التصرف معه، هل تصمت وكأنها لم تر شيئاً، هل تتحدث معه وتحاول نصيحته، وهل إذا قدمت له النصيحة سيتقبلها منها، فهو بعيدٌ كل البعد عنها، هما إخوة في شهادات الميلاد فقط ولكن لم يحدث يوماً أن خرجا

سويًا دون أبيهما وأمهها، لم يحدث أن تحدثا سويًا في مشكلاتهما أو تبادلًا الأفكار..

شعرت سلمى بتقصير كبير تجاه أخيها سيف فهي أخته الكبيرة وكان يجب عليها أن تأخذ الخطوة الأولى في التقرب منه، قررت ألا تقول له شيئًا عن موضوع السجائر، وأن تحاول أولاً أن تتقرب منه وتكسب ثقته حتى يكون من السهل عليها أن تنصحه وأن يتقبل نصيحتها..

وبالصدفة وأثناء عملها عرفت أن هناك رحلة لأسوان رشحها مديرها لها حتى تقوم باصطحاب الفوج السياحي، ففكرت أن تقول لسيف ويأتي الرحلة وبالتالي تكون فرصة مناسبة للتقرب منه..

فعندما عادت إلى المنزل، كان سيف بغرفته، فدخلت إليه ولكنه لم يشعر بها، جالس منكبًا على جهاز الكمبيوتر، ويضع السماعات في أذنيه ومنهمك في اللعب عليه، فقالت له وهي تضع يدها على كتفه:

- إيه يا سيف يا حبيبي، أنا بقالي ٥ دقائق جمبك، أنت مش حاسس بيا؟

فضحك سيف وهو يرفع السماعات من على أذنه وقال:

- سوري يا سلمى، أصل صوت الأغنية عالي أووى فمخدتش بالي، عاملة إيه؟

وبعد أن اطمأنا على بعضهما قالت إن هناك رحلة لأسوان وإنها تتمنى أن يكون معها، وكان رده:

- قشطه لو صحابى فاضين نطلع كلنا.

- تمام، ولو يعنى مش فاضين مش هتيجى معايا؟
- إن شاء الله يكونوا فاضين وينفع، انتي هنكوني مشغولة عني، فهيكون أحسن لو اصحابي معانا.

فقلت له بغيظ:

- تمام مفيش مشكلة.

وشرح لها إنهم بنتين وولدان غيره، فأوضحت له أنه لا توجد أي مشكلة لكن عليه أن يتأكد أولاً منهم، وأن يأخذوا الموافقة من أمهاتهم، ثم يقول لها الأسماء حتى تسجلها في الرحلة، شعرت من نظرتة أنه مستغرب الموقف لأنها أول مرة تصطحبه معها لرحلة، أو حتى تفكر في الخروج معه، ولكن في نفس ذات الوقت شعرت أنه سعيد جداً بذلك..

ذهبا إلى الرحلة وكان أصدقاؤه معها، كانت سلمى تقضي بعض الوقت مع الفوج السياحي والباقي مع سيف وأصدقائه.. وعرفت أن سيف يرتبط عاطفياً بزميلة له في المدرسة تسمى "شهد" والغريب أنها عرفت أنه يرتبط بها منذ أكثر من ثلاث سنوات، وأن أمها على علم بالموضوع هي وأباها.. شعرت حينها أنها بعيدة كل البعد عن أهلها وأخيها، أحست للمرة الثانية بتقصيرها تجاههم، يبدو أن انشغالها بالعمل وبتحقيق طموحاتها أنساها أن لها أهلاً وأحاً لهم عليها حق..

شهد بنت جميلة وعلى خلق، شعرت سلمى أن حب سيف وشهد قوي جداً رغم صغر سنهما، الحقيقة رغم أن سلمى في السادسة والعشرين من عمرها، إلا أنها لم تجرب الحب بعد ولم تفكر في الارتباط من الأساس.

تحدثت مع سيف وكانت أول مرة تتكلم معه في مواضيع خاصة، أول مرة تقترب منه بذهها الشكل:

- أنا فاكراً أن ماما قائلتلك عن شهد، هي معايا في المدرسة من وأنا صغير بس محبناش بعض غير من ٣ سنين، وأنا قولت لماما من سنة تقريباً وقابلتها بطنط نهلة والدة شهد في النادي.

فقالت له وابتسامة تزين شفيتها

- بس مش شايف يا سيف أن لسه بدري أوي، وأن أصلاً انتوا صغيرين وده سن مراهقة، ممكن أصلاً مشاعركم تكون مش صح، وميكنش اللي بينكم ده حب؟

جاوبها سيف بابتسامة مماثلة:

- لما ابقى عايش ٣ سنين مش بشوف غيرها أبقى بحبها، لما ابقى بأحسن من نفسي عشان أكون جدير بيها أبقى بحبها، لما اجتهد في دراستي وحياتي عشانها أبقى بحبها، لما اتخيل أنها أم لأولادي أبقى بحبها، أما أحافظ عليها حتى من نفسي عشان ربنا يكتبلنا الخير وتكون من نصيبي ابقى بحبها.

استغربت سلمى من كلام سيف، كيف لشاب في سن السادسة عشرة أن يقول من قلبه كل هذا الكلام بكل ذلك الإحساس.. شعرت بحبه لشهد من كل كلمة قالها ومن نبرة صوته ومن نظرات عيونه، فرحت جداً بذلك الحب، وفرحت أكثر باقترابها منه وكلامها معه..

وأثناء حديثها معه، أخرج من جيب الجاكت الخاص به علبة السجائر وقال لها:

- يضايقك لو شربت سيجارة؟.

ولكنها نظرت إليه دون أن تتكلم فقال لها:

- أكيد مش هتقولى لماما وبابا، صح؟

- أكيد مش هقول، بس ليه كده يا سيف السجائر مضره جدًّا وأنت لسه صغير أوي؟

فقال لها سيف:

- أولاً أنا مش صغير يا سلمى والكلمه دي كررتها كثير، ثانياً انا اتعودت عليها خلاص.

نظرت إليه باستغراب

" أتعودت عليها؟، انت بقالك قد إيه بتشرب سجائر؟

فقال لها:

- من سنتين تقريبا.

ذُهلّت مما سمعت، سنتين؟؟ بمعنى أنه بدأ في التدخين في سن الرابعة عشرة، كل تلك الفترة وهي لا تعرف ولا أبوها وأمها يشعلان بشيء، ظلت في صمت تسأل نفسها ما الذي دفعه لشربها، هل أصدقاء السوء، أم أنه

مرّ بمشكلة ما وتخيل أنه من الممكن أن تنسيه السجائر إياها كما تصور لنا الأفلام الهابطة في السينما، لكنها كتبت كل الغضب داخلها لأن مثل هذه المواقف تحتاج منا إلى التريث والهدوء حتى نستطع التعامل مع الأمر وقالت له باختصار:

- بص يا سيف أنا مش هقولك السجائر بتموت أو زي ما مكتوب عليها بتؤدي إلى الوفاة، لأن كدة كدة أعمارنا مكتوبة عند ربنا، بس الفرق إنك تختار، تحب تعيش العمر ده وأنت تعبان ومريض ولا تعيشه وأنت بصحتك؟
رد سيف بعد أن ضحك على كلامها:

- طيب ما أنا ممكن ما اشربش سجائر وأعيش مريض، وممكن أشربها وتفضل صحتي كويسة؟
فقال له:

- كلامك صح وكل حاجه بإيد ربنا، بس برضه ربنا قال "ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة".

فهرب سيف من إكمال الحديث متحججاً بأن عليه أن يذهب إلى شهد لأنها تنتظره..

خلال تلك الرحلة تقربت سلمى كثيرًا من سيف وأصحابه، شعرت أنهم يسبقون سنهم بأفكارهم وتصرفاتهم.. فجميعهم مرتبطون عاطفيًا بفتيات من نفس سنهم تقريبًا، وجميعهم يشربون السجائر ويفكرون في إقامة المشاريع والاعتماد على النفس في المصاريف حتى لا يكلفوا أهلهم شيئًا..

انتهت الرحلة على اتفاق بينها وبين سيف أن يصبحا صديقين مقربين، وأن يجدها دائماً بجانبه في كل وقت.. وأخذت سلمى تدون في مفكرتها :
"حقاً! العائلة هي أغلى ما يملك الإنسان، والإنسان العاقل لا يفرط أبداً في تلك اللحظات الجميلة التي يقضيها مع عائلته ويحاول جاهداً أن يكون بجانبهم أطول وقت ممكن، ويعمل ما بوسعه لإدخال السرور إلى قلوبهم فهم أحق الناس بذلك.

عادوا إلى القاهرة، وسمعت من دينا أن هناك قناة فضائية تبحث عن وجوه جديدة، فتجدد لديها الأمل الذي كاد يتحطم، وانفتحت لها نوافذه التي كانت موصدة منذ وقت بعيد، فكثيراً ما توجهت للكثير من القنوات الفضائية دون جدوى حتى إنها منذ أكثر من عام لم تقدم في أى قناة، فأحضرت السيرة الذاتية لها واتصلت بهم وتحدد معها موعداً للمقابلة.. مشكلتها مع القنوات الفضائية أنها ذهبت كثيراً للتقديم في العديد منها ولكنها لم تستطع مقابلة أي من المسؤولين، دائماً ما تقابل مصوراً، أو أحد أفراد المونتاج، أو موظف الاستقبال ودائماً تتكرر نفس الجملة:

- سيبى السي في وهنكلمك.

ولا يتصل بها أحد، تتذكر أنها يوماً قدمت أوراقها في قناة فضائية كبيرة وجلست هناك من التاسعة صباحاً إلى الثامنة مساءً على أمل أن تقابل أحد المسؤولين دون أي فائدة، فقال لها مساعد مصور هناك:

- بصى يا بنتى أنا مش عايز أحبطك، بس المجال ده صعب لو ملكيش واسطة وواسطة كبيرة كمان صعب تشتغلي فيه.

ولكنها لم تياس ولم تهتم بذلك الكلام المحبط، صحيح أنه لا يوجد لديها وساطة تساعدها في تحقيق حلمها، ولكن الله قادر على تحقيق أمنياتها حتى لو رآها البعض مستحيلًا..

ذهبت إلى مكان المقابلة، وقبل دخولها فتحت حقيبتها وأخرجت مدونتها كاتبه : "لن يمنع الله عنا شيئاً نتمناه ما دمنا ندعوه بصدق ونثق في إجابة دعائنا".

وكان مدهشاً أن اختارتها اللجنة هي وثلاث أخريات من بين ١٥٠ فتاة قامت بـ "test camera"، وهو اختبار أمام الكاميرا، يقوم المتقدمين بتقديم جزء أو مقدمة من برنامج، حتى يتم الحكم على مظهرهم ونبرة صوتهم، وجاء الموعد المحدد لمقابلة صاحب القناة.. وبعد أن تحدث معها ولاحظت إعجابه الشديد بها قال:

- بس فيه حاجة صغيرة، أنتى لازم تقلعي الحجاب.

بالطبع رفضت، ولكنه أكد لها أنه ليس بالإمكان أن تكون مذيعة معهم في القناة وهي ترتدي الحجاب، وعندما صمتت قال لها إنه سينتظر ردها خلال يومين..

خرجت من القناة والاستوديو وهي حزينة جداً.. منذ أكثر من ست سنوات وهي دائماً تتردد على القنوات الفضائية على أمل أن تبدأ في تحقيق حلمها، وعندما تأتي لها الفرصة.. تضيع منها بسبب ارتدائها الحجاب..

ضعفت سلمى جداً تلك اللحظة؛ شعرت أن حجابها عائق لها، ويمنعها من تحقيق ما تصبو إليه.. وفي نفس الوقت هي تحبه وتقتنع به ولا تقبل أبداً أن تخلعه..

استمرت حيرتها طيلة اليوم، هي لا تفهم نفسها جيداً، هل هي فعلاً متمسكة بحجابها لاقتناعها التام به؟، أم أنها تخاف من كلام من حولها وأنهم سيقولون أنها خلعتة حتى تكون مذيعة؟، أم تخاف من رد فعل أمها وأبيها لأنها كانا رافضين لحجابها في أول الأمر؛ خوفاً منها أن يأتي اليوم الذي تنزعه فيه، ذهبت إلى أمها لتحكي لها ما حدث وكالعادة كانت أمها تسمعها دون أن تتكلم، بعد أن انتهت سلمى من كلامها قالت الأم:

- إنتي حرة يا سلمى، انتى مش صغيرة وتقدرى تأخدي قرارك بنفسك، بس لما بتكونى محتاجة حاجة من مديرك بتحاولى قوى ترضيه وتسمى كلامه، والله المثل الأعلى إزاي عايزة ربنا يستجيب دعائك ويحبك ويكون جيبك وانتي بتفكري تعصيه، هقولها لك تاني.. إنتي حرة.. بس أفكرى أن من ترك شيئاً لله عوضه خيراً منه.

فكرت كثيراً في كلام أمها، واستغربت نفسها كيف ولو للحظة فكرت في أن تغضب الله حتى تحصل على وظيفة ما، لماذا ضعف إيمانها أمام فتنة من فتن الدنيا، هل لأن الإنسان في الأصل ضعيف، أم لأن حلمها قوي وسيطر تماماً على تفكيرها؟، لا تعلم! ولكنها تعلم جيداً كم تحب ربها وكم تتمنى رضاه عنها حتى وإن خسرت الدنيا بحالها..

هي على يقين أنها إذا أرضت ربها في تصرفاتها فسوف يرضيها بأكثر مما تتمنى، فهو يدخر لها خيراً كثيراً.. ولكنها أيضاً لا تفكر في إرضاء الله حتى تحصل على ما تريد فقط، هي تفكر في إرضائه لأنها تحبه..

مرت تلك الفترة، وانشغلت في عملها أكثر ورحلاتها السياحية أكثر وأكثر..

تحدثت إليها ديبا واتفقتا على المقابلة.. كانت تريد التحدث معها، وسلمى أيضاً اشتاقت لها فمنذ أكثر من شهرين لم ترها..

تقابلا معاً في مكانهما المعتاد، كانت ديبا سعيدة سعادة بالغة، وسألتها سلمى عن سر تلك السعادة فقالت ديبا أن هناك ارتباطاً عاطفياً بين محمد أخيها ونرمين صديقتها منذ أكثر من عام ونصف، وأخيراً حدد محمد موعداً مع أهل نرمين للمقابلة.. كانت سعادتها بالغة، ورغم أن سلمى تحب جميع الناس وتتمنى لهم السعادة وتفرح لفرح غيرها إلا أنها لم تشعر بالفرح بعد كلام ديبا.. هي لم تر نرمين سوى ثلاث مرات ولكنها لم ترتح لها نهائياً، لا تعرف لماذا.. هل لأنها أخذت صديقة عمرها منها.. أم أن هناك سبباً آخر لا تعلمه..

هناك أشخاص لا تشعر بالراحة تجاههم رغم ارتياح الآخرين لهم، وهناك أشخاص لا يشعرون بالراحة تجاهك رغم ارتياحك لهم.. نرمين كانت بالنسبة لسلمى من الأشخاص الذين لا تحبذ التعامل معها منذ أول لحظة رغم كل مميزاتها وكلامها اللبق، لكن سلمى لا تستطيع أن تحبها، وهذا

لا يعني أن نرmin سيئة، فكم من أشخاص تجبهم منذ اللحظة الأولى ولكنك تكتشف فيما بعد كم هم قبيحون...، وكم من الأشخاص لا تشعر بالراحة تجاههم ومع الوقت تكتشف أنهم من أفضل من قابلت في الحياة، لم تبين سلمى لديها أي شيء وباركت لها متمنية لها كل السعادة.

ثم سألت سلمى صديقتها دينا عن آخر تطورات موضوع هيثم وعمرو فقالت دينا:

- مفيش أي جديد في علاقتي بهيثم، هو لسة فاكر إني بحبه وأنا مش عارفة أغير له الصورة دي، دايا يكلمني ويحيلي النادي والشغل ومش قادرة أبداً أجرحه أو أقوله إني مش قادره أحبه، فالوضع زي ما هو، وبالنسبة لعمرو فاحنا زي ما احنا أصحاب عادي، بس أنا حكيتله إني اكتشفت إني مش بحب هيثم، ومستنيه الوقت المناسب عشان أسيبه.

سألته سلمى عن رأى عمرو في موضوعها مع هيثم فقالت:

- هو شايفني غلطانة قووي، وأنى ما دام ناويت مكملش حرام أفضل معلقاه بيا، بس في نفس الوقت هو مقدر موقفي لأنه عارف قد إيه هيثم بيحبني وهيكون صعب عليه أوي لو سيبته، وبرضه شايف أن مينفعش تأجيل المواجهة أكثر من كده.

أحست سلمى وكأن هناك بركاناً من الدم ينفجر في عروقها، كيف لصديقتها أن تخدع هيثم أكثر من ذلك، منتهى الأنانية منها أن تعيشه في كذب وخداع، هيثم يعتقد أنها تعشقه كما يعشقها والحقيقة أن قلبها مع

شخص آخر، لم تكن سلمى قادرة على استيعاب موقفها الأثافي السلبي، وعندما واجهتها بكل ما بداخلها، بكت ديبا بكاءً شديداً وقالت:

- يا سلمى أنتى مش فاهمة حاجة، أنا خايفة، خايفة اووى، أو لا خايفه على هيشم لأنه متعلق بيا جداً زى الطفل الصغير ما بيتعلق بأمه، مش بس واحد بيعب واحدة، صدقيني هيتعب جداً وأنا خايفه عليه من تعبه ده، اه مش بحبه كحبيب بس هو كشخص غالي عندي جداً ومهم بالنسبة ليا، فانا بحاول استنى الوقت المناسب ومش عارفه الوقت ده هيجي امتى، أنا والله متعذبة وحبه ليا معدبني، وفي نفس الوقت خايفة لما أنهي الموضوع هيشم ميكونش في حياتي، أنا نفسى يبقى جمبي كأخ أو صديق، وخايفه أوي لما أقوله اللي جوايا أجرحه جرح ملوش دوا وكمأن أخسره للأبد.

اعتصر قلب سلمى ألماً عند رؤيتها دموع صديقتها، لكن لم تغير سلمى رأيها ونظرتها، كيف تجرؤ ديبا على هذا الخطأ الجسيم؟؟، ومن أين تأتي بكل تلك المبررات؟؟

لا مبرر اطلاقاً لذلك .. ولولا معرفتها الطويلة بديبا لظنت بها ظن سوء.. لكنها لم تفعل .. فهي تعرف جيداً طيبة قلب ديبا ؛ هي فقط تراها مخطئة في طريقة حسابها للأمر، فمن يرد كل شيء من الممكن أن يخسر في النهاية كل شيء، قلب ديبا الطيب يجب وجود كل من أحبتهم بجانبها، ولكنها تعيش في عالم لا وجود له، كانت تفكر بقلدها وترى أن العلاقات يجب أن تستمر ولا تتوقف عند محطة إنهاء الإرتباط، لكن الحقيقة أن أغلب العلاقات العاطفية عندما تنتهي ينتهي معها كل شيء، حتى إنه من الممكن أن يرى

الطرفان بعضهما بعد سنوات طوال ويكتفیان بالنظرات من بعيد دون أن يُلقيا السلام.. فسلمى ترى أن من واجب ديبا أن تخبر هيثم بالحقيقة وبأنها لا تحبه وتترك له حرية الاختيار في أن يظل في حياتها أم لا، وعليها أيضاً أن ترضى بقراره مهما كان، فمن حقه أن يتخذ القرار المناسب له ولقلبه، ليس القرار المناسب لأنانيتها..

وقبل افتراقهما وذهاب كل منهما إلى عملها، ديبا وعدت سلمى أنها ستحاول جاهدة لإنهاء علاقتها بهيثم في أقرب فرصة ممكنة..

انتهى اللقاء، ومن بعده مرت شهورٌ اجتهدت خلالها سلمى في عملها، وفي إصلاح علاقتها بسيف. شعرت أنها خسرت كثيراً طيلة السنوات السابقة يُبعدها عنه، فهو شخصية مرحة وجميلة، لديه أحلام وطموحات كبيرة تسبق سنَّه بكثير. لا تُنكر أنها استفادت من قُربها منه أكثر من استفادته هو، على الرغم من أنها هي الأكبر سنّاً وخبرة..

نجح سيف وشهد في المرحلة الثانوية، والتحقا سوياً بكلية الهندسة جامعة عين شمس، الأمر الذي زاد من ارتباطهما أكثر. معا في الجامعة، وبعدها كثيراً ما يستذكران دروسهما سوياً. صار جبهما أنضح من ذي قبل.

لكن للأسف نهلة والدة شهد أحست بأن سيف ليس بالرجل المناسب لابنتها، سيف في نفس سن ابنتها وكانت تتمنى أن ترتبط شهد بمن هو أكبر. تعتقد تماماً أن الأكبر سنّاً سيكون أنضح فكرا ورؤية. وشهد تعلم كيف تفكر أمها، لكنها لم تُخبر سيف بهذه الأمور حتى لا يتعكر صفو العلاقة.

ولأن شهد تعتبر سلمى أختها الكبيرة فقد قصت عليها وجهة نظر أمها، لكنها فوجئت أن سلمى لم تشعر أن هناك مشكلة ما، فمن الطبيعي أن تخاف أية أم على ابنتها، وأن تتمنى أن تكون مطمئنة عليها مع من تراه مناسبًا. سلمى تثق أن سيف رجل بمعنى الكلمة فمن المؤكد أن أمها يومًا ما ستدرك ذلك فلا يكون هناك أية مشكلة. سلمى نصحت شهد ألا تخبر سيف وأن تظل معه في سعيها للنجاح والتفوق حتى يتمكن سيف من خطبتها رسميًا وإقناع والدتها به.. وفعلا اقتنعت شهد بكلامها ولم تتأثر علاقتها بسيف بل ازدادت قوة وثباتًا..

وبعد أيام قليلة.. وعندما كانت سلمى مشغولة بموضوع أخيها وخائفة من أية تطورات غير مستحبة، جاءتها مكالمة من دينا صديقتها تبكي فيها بكاءً شديدًا وطلبت منها أن تستأذن من العمل وأن تقابلها في أمر مهم. وبالفعل ذهبت سلمى إليها وتفاجأت بانهار دينا وبكائها وتلك أول مرة تراها سلمى على ذلك الحال..

قالت دينا وهي لا تكف عن البكاء أن هيثم واجهها بحبها لعمرو، وقال لها: إنه متأكد من ذلك، وأنه عرف بأنها تتحدث إليه كثيرًا وأن بينهما مكالمات طويلة..

استغربت سلمى كلامها، وسألتها: إذا كان عمرو هو من قال له؟ ولكنها أجابت:

- لا عمرو ومقالش حاجة، اذا كان أصلا عمرو ويعرفش إنى بحبه، ممكن يكون حاسس بس أنا مقلتلوش حاجة زي دي، ولا هو قالي مشاعره من ناحيتي، وأنا بعد كلام هيثم ليا كلمت عمرو وحكيته واستغرب أوي، ازاي

هيثم عرف إننا بتتكلم؟؟، عمرو شاكك في ممدوح صاحبه لأنه مرة كان جبهه واحنا بتتكلم، فأكيد ممدوح حكى لهيثم وهيثم فهم إني بحب عمرو، أنا بجد مش مصدقة اللى حصل ومش عارفه أعمل أيه، هيثم كان بيتكلم معايا وصوته تعبان أووى ومصدوم، صعب أووى إني أكون سبب وجعه، وهو دايمًا كان بيحاول يفرحني - منه لله ممدوح ليه يعمل كده..

مسحت ديمًا الدموع التي ملأت وجهها واستمرت في حديثها قائلة:
- عمرو اتصل بممدوح وسأله وممدوح أنكر أنه قال أي حاجة لهيثم وأنه مكلمش هيثم أصلا ولا شافه من أكثر من شهر.. بس طبعا هو كذاب وأنا وعمرو متأكدين أنه بيكذب.

كانت تتحدث بسرعة رهيبية وعصبية شديدة - طلبت منها سلمى أن تهديء، و لكن دون جدوى، و سكن الصمت بينهما نحو عشر دقائق. ثم سألتها سلمى عن رد فعلها من كلام هيثم؟ فقالت ديمًا: إنها أنكرت كلامه، وأكدت له أنها تحبه ولا يوجد أي شيء بداخلها تجاه عمرو.

للمرة الألف تختلف سلمى معها في تصرفاتها، كان من الممكن أن تستغل تلك المشكلة وتعترف له بأنها لا تحبه إلا مثل أخ أو صديق لكنها للأسف لم تفعل.. واستمرت في خداعه وحاولت إقناعه أنها تحبه ولا يوجد لديها أي نية لإنهاء ارتباطهما..

لا تعلم سلمى لماذا لا تجرؤ ديمًا على ذلك بحجة منها أنها تحافظ على مشاعره ولا تريد أن تجرحه، رغم أنها لو بالفعل تريد له الراحة، فعليها

أن تواجهه بالحقيقة حتى لو تألم.. لأنه سيتألم أياماً ثم ينسى، لكن بتأجيلها
المواجهة فهي تزيد الألم، فألم الشك أمرٌ وأصعبُ كثيراً من ألم الفراق..

حاولت سلمى أن تغير الموضوع حتى تهدأ ديبا، فسألتها عن أخبار محمد
ونرمين وهل تمت الخطبة أم لا؟ فأجابتها ديبا: أنه تمت قراءة الفاتحة ولكن
هناك بعض المشاكل بين محمد ووالد نرمين مما جعل محمد يشعر أن عليه
إغلاق الموضوع..

تعجبت سلمى ما هي المشاكل التي يمكن أن تمنع اثنين بينهما حب من
الزواج؟ فأوضحت ديبا أن محمد رفض أن يحكي التفاصيل، لكن ما عرفته، أن
هناك اختلافاً على كتابة القائمة، ولكن محمد رفض ذلك قائلاً لأهل نرمين:

- يعني أنتوا هتأمنوني على بنتكم، مش هتأمنوني على شوية عفش وشوية
أطباق وكوبايات.

كان يرى أن ذلك الطلب لا يليق بهم، ولكن ليس ذلك كل شيء فهناك
أمور أخرى لا تعرفها ديبا ومشاكل أخرى بين نرمين ومحمد لا أحد يعرف
عنها شيئاً..

أنهيا كلامهما بتمنى أن يكتب الله الخير لنرمين ومحمد أيّاً كان، وأن ينتهي
موضوع هيثم على خير دون أن تتسبب له ديبا في جرح أكثر من ذلك...

اختفت ديبا بعد تلك المقابلة أكثر من شهر، ولم تعد ترى سلمى أو حتى
تحدثها في الهاتف، وانشغلت سلمى في عملها لدرجة أنها لم تكن ترى سيف
غير دقائق قليلة في الأسبوع، وعندما شعرت سلمى أنه لا توجد أخبار عن

صديقتها، حاولت مراراً أن تتحدث إليها ولكنها لم تجبها، شعرت سلمى بأن ديبا تحتاج إلى فترة تجلس فيها مع نفسها.

وحين طالت فترة غياب ديبا مع عدم ردها على هاتفها، ذهبت سلمى إليها في بيتها حتى تطمئن عليها..

قالت لها والدة ديبا: إن الأخيرة تمر بحالة اكتئاب شديدة، ولا تُريد التحدث إلى أحد، وطلبت الأم من سلمى أن تدخل إليها غرفتها لعلها تحكي لها عما أصابها، ولكن للأسف لم تتفوه ديبا بكلمة واحدة..

طرق محمد أخو ديبا باب الغرفة مستأذناً أن يسمح له بالدخول وبالطبع رحبت سلمى به، حاولت سلمى أن تفهم منه سر الحالة التي تمر بيها ديبا فأجابها محمد:

- يا سلمى، كل الموضوع إنها قالت لهيثم أنها مش قادره تكمل، رغم أن الخطوة دي اتأخرت جداً وكانت لازم تحصل من زمان، حتى أنا كنت بقالي فترة بقولها لو مكسوفة تقوله إحساسها فأنا أقوله وهي كانت دايباً بترفض، وللأسف هيثم تعب جداً بعد كلام ديبا واعترافها أنها مش قادرة تحبه، وراح المستشفى وفضل فيها أسبوع في حالة انهيار شديد، وديبا مصممة إن هي السبب في تعبه، ومن ساعتها وهي زي ما انتي شايفها.

بكت ديبا بكاءً لم تنكح من قبل عند سماعها كلام أخيها، بكت إلى حدّ انتفاض الرُّوح والجسد، فاحتضنها أخوها وعيناه تملؤهما الدموع... هدأت ديبا في حضن أخيها فأعطاها الدواء ونامت..

اتصلت سلمى بأبيها وأمها لتشرح لهما تعب ديبا وتطلب منها أن تقضي الليلة بجانبها، فوافقا. جلست سلمى بجانب صديقتها تنظر إلى ملامح وجهها الحزينه، تشعر أن هناك شيئاً خفياً لم تقله ديبا، ليس الأمر فقط هو تعب هيشم أو جرحه، هناك جرح أكبر بداخل ديبا، ظلت تفكر حتى أرهقتها التفكير وغلبها النوم وهي تدعو لصديقتها أن يُريح الله قلبها..

وفي يوم آخر، جلست سلمى مع أخيها سيف في النادي بعد الانتهاء من عملها لتناول الغداء سوياً، تود أن تعرف ما الذي يُغيره فمند فترة تشعر بأنه ليس كطبيعته، وبعد أن تناولا الغداء سألته سلمى عن سبب تغيره فقال:

- مش عارف أقولك ايه، هو مفيش حاجة محددة، بس حاسس إن شهد متغيرة معايا شوية. فسألته سلمى:

- ولم هذا التغير؟

وكان رده:

- مش عارف، هي من شهر تقريباً قالتلي إن مامتها شايفة اننا صغيرين وإن أنا بالذات صغير، يعني إني لسه في تانية جامعة وقدامي وقت عقبال ما اتخرج، لكن أنا بجد مش فاهم إيه الجديد، دى مامتها عارفة اننا بنحب بعض من أكثر من 5 سنين، ومكتتش معترضة نهائي مش عارف إيه اللي غيرّها، مش بس كده، شهد نفسها رغم أن تعاملاتنا زي ما هي وعلى طول مع بعض لكن أنا حاسس إنها من جواها متغيرة خايف أووي تكون مامتها قدرت تأثر عليها بتفكيرها.

صممت سلمى تفكر ماذا تقول، فهي تعلم من شهد تفكير الأم منذ فترة، ولكن كان الاتفاق ألا تقول شهد أي شيء لسيف، فلماذا قالت له: ولماذا هذا التوقيت؟ بادرت سلمى بالكلام قبل أن يلاحظ سيف شرودها قائلة:

- لا معتقدش، شهد بتحبك جدًّا واكيد مش هتتأثر بكلام مامتها، انت بس ركز في المذاكرة عشان خلاص الامتحانات على الأبواب وكلها ٣ سنين وتخرج وتبقى باشمهندس قد الدنيا.

ابتسم سيف لأخته فهو يعلم أنها تحاول أن تخفف من حدة قلقه... وأثناء جلوسهما اتصلت والده ديبا بسلمى وقالت لها: إن هناك شابًّا رأى سلمى منذ فترة بمنزل ديبا ويريد الارتباط بها والتعرف عليها أكثر، استغربت سلمى من كلام أم صديقتها فهي لا تتذكر أبدًا أنه في يوم قابلت أي شخص في بيت ديبا، ولكن بعد كلامها معها تذكرت ذلك الشاب الذي كان يجلس يومًا مع والدته ديبا وأمه في يوم زيارة سلمى لديها... لم تجد سلمى ما تقوله، فهي لا تفكر في الارتباط، ولو فكرت في الارتباط فلن يكون بهذه الطريقة، فهو لم يرها سوى مرة واحدة فقط..

ولكنها طلبت منها أن تعطي لها فترة لتفكر في الأمر. أنهت المكالمة والتفت لسيف وهي مندهشة قائلة:

- تصدق يا سيف جايلي عريس مشفينش غير مرة واحدة، ومكنش كمان بينا أي كلام؟

نظر لها أخوها قائلاً:

- وإيه الغريب، فيه ناس بتتقدم لبنات من غير ما تشوفها أصلاً عشان بس سمعوا عنهم ويعرفوا أهلهم.

سلمى تعرف جيداً كلام سيف ولكنها كانت تظن أن هذه الطريقة في الأفلام فقط، ولا توجد في القرن الحادي والعشرين. وبعد الانتهاء من جلستها ذهبا إلى البيت بعد أن أقنعها سيف أن تقابل ذلك الشخص، لعل وعسى أن يكون مناسباً لها، خاصة أنها لا يوجد لها أي علاقة عاطفية بأي إنسان. فلم لا..؟

وبعد أسبوعين لم تقدر فيهما ديبا على الكلام تحدثت مع سلمى هاتفياً وطلبت منها المجيء إليها، وبالفعل ذهبت إليها سلمى، وحكت ديبا لصديقتها ما حدث تفصيلاً قائلة:

- أنا جوايا وجع كبير يا سلمى وعازية أحكيك، الموضوع مش بس إن هيثم تعبان، الموضوع أكبر من كده بكتير، أنا كدبت على محمد لما قولتله إنى اعترفت لهيثم، الحقيقة هيثم عرف لوحده وهو اللي أنهى الموضوع مش أنا، هو اتصل بيا من ١٠ أيام تقريباً عشان نتقابل وكان صوته متغير جداً، ولما اتقابلنا قالي إنه عارف كل حاجة، وعارف إنى عازيه أسيبه وإنى مش بحبه، واتهمني إن أنا وعمرو مرتبطين عاطفياً وبيناً حب، والله الكلام ده محصلش يا سلمى والله ..

أنا وعمرو كلامنا طول الفترة اللي فاتت كان قليل جدًّا وكان كله إزيك وإيه الأخبار وبس، وعمري ما قولتله إني بحبه ولا حتى لمّحت بده، لإني عارفه كويس إن مينفعش ده يحصل غير لو موضوع هيثم انتهى تمامًا، معرفش هو جاب الكلام ده منين، والغريب أنه عارف امتي باتكلم أنا وعمرو، وعارف المسدجات حتى بيكون فيها إيه مع إني بقالي فترة مكنتش شوفت هيثم يعني مكنتش بيشف موبيلي ولا كان بيشف عمرو وعشان يشوف الموبايل بتاعه، أنا هتجنن لدرجة إني شاكه يكون تليفوني مترقب، أنا مش فاهمة أي حاجة، حاولت أوضحله إنه فاهم غلط بس للأسف ما ادانيش أي فرصة؛ الدموع كانت مالية عينه وأنا مكنتش قادرة أبطل عياط، فضل يتكلم كتير وأنا مش عارفة قدام وجعه أذاع حتى عن نفسي، لحد ما قالي جملة غريبة اووي.

سكتت ديا وهي تحاول أن تتناسك أمام صديقتها، فأمسكت سلمى بيدها وطلبت منها أن تهدأ، فأكملت ديا والدموع تتساقط من عينيها:

قالي "لو عايزة تسيبيني ومنكملش أوكي، بس أرجوكي بلاش تتجوزي عمرو، بلاش تتجوزي صاحبي"، وسابني ومشي، وأنا مش قادرة حتى أتحرك من مكاني أو أفتح بُقي، أنا بجد باكره نفسي، هو أكثر إنسان حبّني في الدنيا، وأنا أكثر إنسانة وجعته وجرحته، حاولت بعديها أكلمه كتير مش بيرد خالص، قفل موبيله ومش عارفة أوصله، وبعديها بيوم عرفت من أخته أنه في المستشفى.

انتهت ديا حديثها وهي في انهيار تام. سلمى تشعر بما ألم بصديقتها وكل ما تُفصِّحُ به روحها، تعلم تمامًا في داخلها.. ففي داخلها عالمان يشتعلان،

إذ تشعر أنّها أوجعت إنسانا غالياً قريباً منها، والجرح ليس بهين، أوجعته
لأنّها تحبُّ رجلاً غيرهُ، والأشدُّ قهراً.. أن من تحب هو صديق عمره!

والإحساس الثاني هو إحساس الظلم فهي أبداً لم ترتبط بعمره، ولم يكن
بينهما أي شيء غير مشاعر لم يصرح أحدهما بها إلى الآخر.. لكن في كل الأحوال
كانت سلمى ترى أن ما حدث كان يجب أن يحدث أيّاً كان الوجود أو الجرح.
حاولت سلمى التقرب من دينا هذه الفترة، وأن تبقى جانبها في أسوأ
فترة تمر عليها في حياتها، تُنهي عملها سريعاً كل يوم وتذهب لتقضي بقية
اليوم معها..

محمد أيضاً كان يرى أنه من البداية لم يكن هيثم مناسباً لأخته، ولكنه
عندما رأى تمسكها به وافق على ارتباطهما. وكان من المقرر خطبتها رسمياً
بمجرد عودة أبيهما من السفر فهو يعمل في إحدى البلاد العربية، ولا يأتي
مصر إلا شهراً واحداً في السنة..

كانت دينا تعرف أخبار هيثم من أخته، عرفت أنه حتى بعد خروجه
من المستشفى كان دائم التردد على الطوارئ، عندما كان يُغشى عليه فجأة
ويحملة أهله إلى هناك، ولكن للأسف كل محاولاتها للاتصال به فشلت لأنه
دائماً ما يغلق هاتفه. ودائماً ما يؤكد محمد أخوها عليها ألا داعي للاتصال به،
ولكنها لم تستجب وحاولت الوصول إليه دون علم أخيها..

بعد أسبوعين من شفاء هيثم أرسل رسالة لدينا كان محتواها:

"أنا أراي كنت مخدوع فيكي كده وفاكرك ملاك بريء، وانتي أصلاً
واطيه، إيه اللي استفدتيه لما لعبتي بيّا وبمشاعري، كده إنتي رضيتي

غرورك، كدة إنتي كسبتي رهانك مع نفسك إنك تخليني خاتم في إيدك،
بعدين ترميني وتدوسي عليًا، كإني سيجارة ولعيتها خدتي منها نفسين بعدين
سبتيها تتحرق ورميتها على الأرض ودوستيها بجزمتك، إنتي أبشع إنسانة
قابلتها في حياتي، أنا على قد ما حبيتك على قد ما أنا باكرهك دلوقتي وباكره
أي حاجة بتفكرني بيكي.. لكن أقسملك يا ديبا إنك هتندمي أشد ندم على
كل اللي عملتيه فينا، وأنا مش هسامح أبدًا في حقي" ..

انهارت ديبا بعد قراءتها لتلك الرسالة، كيف يمكن للاحترام والحب أن
ينتهيها بإهانة وسب ولعن؟.. كيف يمكن أن يجرحها عمدًا، إذا كان في يوم
أحبها حقًا؟ وهي التي تتألم دائمًا وتشعر بالذنب تجاهه. وبالرغم من خطأ
تفكيرها وخطئها في حقه إلا أن نيتها لم تكن في يوم سيئة..

بعد تلك الرسالة قررت ديبا ألا تحاول الاتصال به، هي كانت تحاول
مكالمته لتخفف عنه وتعتذر له عن أي شيء، ولكن بعد إهانته وعدم اهتمامه
بمشاعرها لم يعد للمكالمة أي معنى أو فائدة..

سلمى ترى أن هيثم معذور في كلامه وإن كان جارحًا. فأبي شخص في
مكانه، سيقول ما قاله وأكثر، فديبا أخطأت، وجرحته جرحًا ليس بهين،
ترتبط به وتحب آخر وهذا لا يقبله أي رجل على كرامته. سألت سلمى
صديقتها ديبا عن نرمين؟ لما لم ترها معها في تلك الظروف، فأجابتها ديبا بأن
موضوع نرمين مع أخيها محمد انتهى، وبالتالي فإن نرمين لا تزورهم ولكنها

دائمة الاتصال بها ومقابلتها خارج المنزل.. وسألتها سلمى عن رأي نرmin
فيما حدث بين ديبا وهيثم فقالت ديبا:

- هي شافيه أن بعد إهانتته لئيا مينفعش أصلاً إني أفكر فيه ومحاولش
أكلمه ولا أسأل عليه.

تلك الفترة كان عمرو من حين لآخر يتصل بديبا ليطمئن عليها وعلى
أخبارها، وقال لمحمد أخيها إنه يجبها من قبل أن ترتبط بهيثم، ولكن عندما
عرف بارتباطها بصديقه فكان لا بد أن يصمت ويتمنى لها السعادة، والآن
وبعد انتهاء موضوع ارتباطها بهيثم فهو يريد الارتباط بها إذا وافقت على
ذلك، ولكنه يريد من محمد ألا يقول لها شيئاً ويتنظر فترة حتى تهدأ من
إحساسها بتأنيب الضمير تجاه هيثم..

ومرّ شهر والثاني، ثم فاتح محمد ديبا في الموضوع، وكانت ديبا تبكي وهو
يتحدث إليها، لتذكرها كلام هيثم، فهي بالفعل تحب عمرو وتتمناه زوجاً
لها، وفي نفس الوقت نظرة هيثم لها ودموعه وضعفه وهو يطلب منها ألا
تتزوج صديقه تذبحها.. أقنعها محمد أن تنسى هيثم وتنسى ما قاله، وأنه
ليس من العقل أن ترفض إنساناً تحبه ويحبها، وهو زوج مناسب، ومتدين،
من أجل لحظة ضعف مر بها هيثم..

اتصلت ديبا بصديقتها نرmin وطلبت منها المقابلة في مكان ما؛ لأنها
تريد أن تأخذ رأيها في بعض الأمور.. وعندما تقابلا وحكت لها ما حدث،

صدمت نرمن من تقدم عمرو لديها بهذه السرعة وتغير لون وجهها عندما سمعت بالخبر، مما لفت انتباه ديبا لها قائلة:

- انتى مش فرحانة علشاننا ولا إيه؟

فقال نرمن:

- بالعكس أنا فرحانة اووي. بس ماتوقعتش إن ده يحصل وبالسرعه دي، على العموم عمرو إنسان كويس، إنسي هيثم وكلامه اللي قاله فى لحظه غضب وركزي فى حياتك الجديدة.

ثم سألتها ديبا عن سر تغيرها معها، فهي لا تتصل بها كل يوم كما كانت تفعل ولم يتقابلا دائما كما اعتادا، فجاء رد نرمن:

- مترعليش مني يا ديبا يا حبيبتى، بس غضب عني، تجربتي مع محمد أخوكي تعبتني جداً، أنا حبيته ٣ سنين وبعدين سبنا بعض، فأكيد مش هاقدر أنساه فى يوم وليلة ومحتاجة فترة عشان أقدر أنساه وأرجع طبيعية.

- طب أنا مالي بس باللي بينكم! يا نرمن احنا أصحاب واخوات من قبل ما ترتبطين بمحمد وهنفضل أصحاب على طول ولا إيه؟

فكان رد نرمن أنه بالطبع سيظلان أصحاباً وأختين طوال الحياة، واحتضنت كل منهما الأخرى وانصرفتا..

أما سلمى فقد حددت ميعاداً مع ديبا ومحمد والشخص المتقدم وذهبت هي وسيف لمقابلتهم، ذلك الشخص يدعى "علي" طويل القامة، قمحي

البشرة ، له لحية خفيفة. لم تتذكر سلمى أن تلك اللحية كانت موجودة يوم اللقاء بيت ديبا أم لا، وبعد الحديث شعرت سلمى بأنه إنسان قريب إلى الله، وهذا شيء مهم بالنسبة لها لأنها تتمنى الارتباط بمن يُعينها على التقرب إلى الله ويأخذ بيدها للجنة.. ولكن ليس ذلك كافيًا فهي لا تعلم أي شيء عن أهله أو أسرته رغم كلامه عنهم، وهذا غير كافٍ أبدًا في مثل هذه الموضوعات.. تحدثنا كثيرًا عن طبيعة عملها، فهو طبيب في مستشفى ويحاول جاهدًا تجميع المال حتى يشارك صديقًا له في عيادة خاصة، وعندما جاء دور سلمى للحديث عن عملها، ظهر عليه عدم ارتياح لذلك، لأنه كان يستنكر كيف لفتاة أن تسافر إلى أماكن سياحية وحدها، حتى لو كان هذا السفر تحت إشراف عملها..

انتهت المقابلة، ولم تستطع سلمى خلالها تحديد موقف نهائي.. فهو إنسان مُريح، ولكن له بعض الأفكار المتشددة قليلًا، أما بالنسبة لعي فقد خرج من اللقاء شديد الإعجاب بها رغم بعض التحفظات..

وفي اليوم التالي قالت لها ديبا إن عليًا ينتظر ردها.. ويتعجل عليه.. لكن سلمى طلبت وقتًا للتفكير.. قضته ما بين دعاء واستخارة.. حتى استراح قلبها.. وتوكلت على الله.. ووافقت على مقابلة عليٍّ وأهله بأهلها..

وفعلًا تحدد موعد في بيت سلمى وتمت المقابلة، أهل عليٍّ أكثر تدينًا من أهل سلمى، فأخواته البنات مثلاً لا يضعن مساحيق التجميل ويرتدين العباءات على عكس سلمى وأمها، وأبوه يرتدي الجلباب وله لحية طويلة مخضبة بالحناء..

بعد المقابلة شعر أهل سلمى أن عليًّا فعلاً إنساناً رائعاً ومناسباً، ولكن هو وأهله أكثر منهم التزاماً ولا يوجد مشكلة في ذلك ..

بعد فترة من الزيارات العائلية وافقت سلمى على الارتباط بعلي، وتمت الخطبة في منزل سلمى دون موسيقى أو رقص، وذلك تم باتفاق بين عليّ وسلمى ..

خلال فترة الخطوبة حاول عليّ كثيراً أن يُقرب سلمى من الله أكثر عن طريق اصطحابها معه للدروس والندوات الدينية وسلمى بطبيعتها لديها استعداد لذلك وسعيدة به.. وبالتدرّج بدأت سلمى تحسن من ملبسها أكثر، وترتدي الحجاب الطويل وكان الجميع من أصدقائها وأهلها وزملائها في العمل يلاحظون تغيرها، حتى إنها أصبحت لا تصافح الرجال باليد وتكتفي بإطلاق جملة "السلام عليكم".

تعلقت كثيراً بعليّ، وهو أيضاً أحبها جداً، وكانا متفاهمين إلى أبعد الحدود..

أجلت ديبا خطبتها لعمرو لفترة حتى تهدأ وتستعيد نفسها، وراحت علاقتها تكبر. وكانا دائماً يلتقيان ويتحدثان في الهاتف، وفي يوم أثناء مقابلة ديبا بنرمين صديقتها.. كانت نرمين ترتدي ملابس جميلة وأنيقة وتضع بعض مكياج يُظهر جمالها. كان وجهها مضيئاً في ذلك الوقت.. فرحت ديبا عندما رأت نرمين سعيدة وسألتها عن سبب سعادتها فكان ردها:

- أنا ارتبطت يا ديبا وان شاء الله هتخطب قريب!

صدمت ديبا لأنها كانت على أمل أن تنصلح العلاقة بين نرمين ومحمد ولكنها حاولت إخفاء ذلك وراء ابتسامة قائلة:

- ألف مبروك يا حبيبتى حصل إمتى ده، وازاي متقوليش؟.

- الموضوع جه بسرعة أووي، أنا اتعرفت عليه من شهر في كورس الرسم الى كنت بأخده، والموضوع مشي بسرعة مش عارفه ازاى، وهو شخص مناسب جدًا ومحترم.

وأثناء كلامها رن هاتف نرمين، فأجابت بارتباك، وهذا طبيعي لأن ديبا حتى وإن كانت صديقتها فهي أخت الشخص الذي كانت تحبه ويحبها؛ فمن الطبيعي أن يكون هناك الكثير من الحساسية بينهما في مثل ذلك الموقف ..

تعتصر ديبا من الداخل، فهي لم تتمنّ أبدًا لمحمد أخيها عروسة أفضل من نرمين، وتمنّت كثيرًا أن يُصلح الله بينهما ويُتوّج حبهما الكبير بالزواج، ولكن العناد سيطر على كليهما، وكأن هناك شيئًا خفيًا بينهما لا تعلمه ديبا قسى قلبيهما. من الممكن أن يكون اهتمام محمد بعمله كان بديلا قويا عن الاهتمام بنرمين، فدائما ما كان يُهملها، وهذا الشيء يجرحها ويسبب لها وخزا في الروح. ديبا لم تفلح محاولاتها للإصلاح على الرغم من أنها كانت حريصة على ذلك، لذلك لم يكن بإمكانها سوى أن تظهر فرحتها لصديقتها التي تعتبرها على حق في كثير من الأمور، وأن محمد لم يكن يهتم بنرمين الاهتمام الكافي ولم يتمسك بها ويحبها. وقالت نرمين: إن عليها الانصراف لأن خطيبها ينتظرها في مكان آخر، فأسرعت ديبا معها وأوصلتها بنفسها حتى

لا تتأخر على موعدها، وبعد أن أوصلتها إلى المكان الذي ستقابل فيه خطيبها رحلت باكية العين، تحبس دموعها منذ أن أخبرتها نرمين بموضوع الارتباط. وبمجرد أن نزلت نرمين من السيارة بعد ان انتهت من ضبط مكياجها، قادت دينا السيارة وهي منهارة حد البكاء..

بعد أن ذهبت دينا إلى المنزل قالت لمحمد أخيها إن نرمين ستُخطب قريباً مما أثار ذهول محمد، كيف لها أن تُخطب بتلك السرعة، وقال متظاهراً بالتهاسك:

- ربنا يوفقها، هي حرة في حياتها.

ولكنه كان يُداري خلف تلك الجملة ألماً شديداً أحسّت به دينا وأحسّت به أمها أيضاً، لكن كبرياء محمد كان يدفعه دائماً لإظهار عكس ما بداخله.. وبعد ذلك اليوم أرسلت نرمين رسالة إلى دينا قائلة فيها:

- أنا دلوقتي بابدأ حياة جديدة، ولازم أنسى محمد وأي حاجة ممكن تفكرني بيه، أنا أسفه يا دينا بجد، بس أنا مضطرة أبعد عنك لأنك أخته وأكيد كل لما أكلمك أو أشوفك هافتكره، حاولت كثير أفصل بين أنك أخته وأنك صاحبتني بس مقدرتش، أرجو كي قدري موقفي وسيبيني على راحتتي..

حزنت دينا حزناً شديداً عندما قرأت تلك الرسالة، ولكنها تمثت لصديقتها من كل قلبها السعادة، وقالت لها إنها ستنفذ رغبتها، لكنها ستنتظر اتصالها في أي وقت، ظناً منها ألا أحد منها يمكنه الاستغناء عن الآخر.

ومرَّ شهر دون أي مكالمات بينها، كانت ديبا تفتقد نرمين جدًّا، فاتصلت بها ولكنها لم تجبها، مما زاد قلقها فاتصلت مرة أخرى دون أي فائدة أيضًا، ثم اتصلت بأخت نرمين التي قالت لها إن نرمين نائمة، وطلبت ديبا منها أن تبلغها عندما تستقيظ أنها تريد محادثتها..

ظَلَّت ديبا طوال اليوم تنتظر مكالمة نرمين بلا فائدة، ففهمت أن نرمين لا تريد محادثتها..

وبعد فترة قصيرة قررت ديبا الموافقة على الارتباط بعمر ورسميًا، كانت سعيدة جدًّا به فهو الإنسان الذي حلمت به يشاركها حياتها، وعندما عرف هيثم بارتباطها، حدث ما لم يتوقعه أحد، اتصل هيثم بعمر وطلب منه المقابلة وبالفعل ذهب إليه عمرو، فبدأ هيثم كلامه بسؤال عمرو عما إذا كان بالفعل ارتبط بديبا أم أن ما سمعه ليس صحيحًا؟ وكان رد عمرو:

- أيوه يا هيثم ارتبطنا وإن شاء الله هنلبس دِبل يوم الخميس وكتب الكتاب بعد سنة عشان زي ما انت عارف والد ديبا مسافر فاحنا ملتزمين بمواعيد أجازاته.

كان هيثم يسمع كلام عمرو صامتًا ومتأثرًا جدًّا، ولاحظ عمرو توتّر صديقه فقال له:

- مش عارف أقولك ايه يا هيثم، بس احنا مش صغيرين وطبعًا كل شيء نصيب..

ضحك هيثم ضحكة هستيرية، واستغرب عمرو ما الذي يُضحكه لذلك الحد، وظل ينظر إليه في تعجب فقال هيثم:

- طيب بص انا هقولك كلمتين وانت حر، مع إني كان ممكن أسيبك على عمّاك بس أنا برضه أصيل وبصون العيش والملح.

لم يتكلم عمرو منتظرًا منه أن يُكمل كلامه فقال له:

- لازم تعرف أن ربّة الصون والعفاف مش بس كانت حبيبتي ولا كان ارتباطي بيها ارتباط عادي، احنا كنا شبه متجوزين، و.... "

وقف عمرو من مكانه مفزوعًا قائلاً: "

- إنت واطي أوي يا هيثم!

- هي اللي واطية أوي صدقني.

لم يتمالك عمرو أعصابه فأمسك بهيثم من قميصه وضربه، فتجمع الناس لفض المشاجرة. انصرف عمرو وهو في قمة غضبه. كيف يصل انعدام الضمير لهذا الحد؟ كيف له أن يتهم إنسانة شريفة بذلك الاتهام البشع لمجرد أنها رفضت الزواج منه وفضّلت شخصًا آخر؟ كيف له أن يتحدث بتلك الوقاحة عن أخت صديقه؟..

ظل عمرو أيامًا في حالة يرثى لها، ولكنه حاول جاهدًا تجاهل كلام هيثم، وبالطبع لم يقل لديما أي شيء عن مقابله بهيثم أو عن كلامه، لأنه يعرف جيدًا

كم هي رقيقة المشاعر ولن تتحمل أبداً ما قاله عنها، حاول عمرو الإسراع في إجراءات كُتِبَ الكتاب حتى يكون دائماً بجانب ديبا، ولكن للأسف لم يتركها هيثم وشأنها، لقد قال نفس الكلام لممدوح صديقها الذي وبَّخه أيضاً وتشاجر معه. وكأن الجميع سخرهم الله ليكونوا بجانب ديبا لكي يدافعوا عنها..

وعندما علم عمرو أن هيثم لم يكفَّ عن كلامه، ذهب هو وممدوح إليه في منزله وقامت مشاجرة كبيرة بين عمرو وهيثم أدت إلى إصابة كل منهما بجروح، حاول ممدوح جاهداً أن يهدئها وأخذ عمرو بالقوة وانصرفا..

كانت تمر كل تلك الأحداث بين عمرو وهيثم دون أن تعلم ديبا أو محمد بأي شيء خوفاً من عمرو عليها، لأن محمداً إذا وصله أي شيء من ذلك الكلام لن يكفيه قتل هيثم، ولهذا كان عمرو وممدوح يُحاولان أن يفعلا المستحيل حتى لا يصل أي كلام إلى محمد..

لكن للأسف أرسل هيثم رسالة إلى ديبا يسبُّها فيها ويصفها بأبشع الألفاظ وفي نهاية الرسالة قال لها: " لو فاكرة انك عادى تلعبى بيآ واسيبك تبقي غلطانة".

صدمت ديبا وأسرعت لعمرو وقالت له ما حدث، ووعدها بأنه سيتصرف في ذلك الأمر، وأخذ وعداً منها ألا تحكي لأخيها أي شيء..

في تلك الفترة حصل محمد على تأشيرة الهجرة لكندا التي دائماً ما تمنها، وكان عليه السفر في أقل من أسبوعين. ومرّ الوقت سريعاً وسافر محمد يملؤه الحزن لأنه لن يكون بجانب دينا وعمرو العام القادم عند زواجهما.

كف هيثم عن رسائله وكلامه عن دينا، أو بمعنى أصح، لم يصل إليها أي كلام لأن الجميع قاطعه تماماً.. وبعد سفر محمد بخمسة أشهر مرضت أماني أخت دينا ومحمد، واكتشف أهلها إصابتها بمرض خطير وأنها في حالة متدهورة، وسرعان ما توفت..

عاد والد دينا إلى مصر.. لكن محمد لم يستطع المجيء فلهجرة تلزمه بالبقاء في البلد فترة ما، صدمت أسرة دينا صدمة كبيرة، فأماني لا تزال في العشرين من عمرها، ولم يتوقع أحد إصابتها بأي مرض..

كادت دينا تموت حزناً على أختها فأرسلت رسالة إلى نرمين وقالت لها إنها بحاجة إليها وأبلغتها بموت أماني، وفي نفس اليوم أتت إليها نرمين في المسجد حيث يُقام العزاء. عندما رأتها دينا أسرعت نحوها واحتضنتها باكية، فاحتضنتها أيضاً نرمين ولكن من دون بكاء، فنرمين معروفة بقوة مشاعرها، وأنها نادراً ما تبكي على شيء ما، حتى لو كادت تموت من الألم..

بعد الصلاة، وتشيع الجنازة، وأثناء مراسم الدفن لم تستطع دينا أن تتمالك نفسها وتحبس دموعها، فمسكت سلمى يد صديقتها التي كادت أن تسقط مغشياً عليها بقوة، وقبّلت رأسها وهي تبكي، ثم قامت بالدعاء وقراءة بعض السور القصيرة في محاولة منها لتهدئة صديقتها.

وفي أيام العزاء، ظلت نرmin وسلمى طيلة الوقت بجانب ديبا، كذلك حضر هيثم الجنازة و العزاء، وقدّم العزاء لديبا وعمرو، مرت أيام العزاء الثلاث وسألت ديبا صديقتها نرmin عما إذا كانت قد خُطبت أم لا؟ فقالت نرmin: إنها لم تُخطب، وانتهى موضوعها قبل بدايته..

قاسية كانت الشهور الأولى، قاسية عليهم جميعًا، فبعد أيام العزاء يبدأ الوجع؛ وبعد أن تنتهي أيام المواساة والسلوى يبدأ أهل المتوفي وأحابه في استيعاب حقيقة الفراق والموت. يشعرون بالغرابة في الأماكن التي كانت تجتمعهم بمن أحبوا، يشعرون بالوحشة والألم، يشعرون بالحنين للماضي، يشعرون بالندم على الأوقات التي مرت دون أن يعبروا لمن يُحبون عن حُبهم.. مشاعر كثيرة تظهر بعد انتهاء مراسم العزاء، وهذا ما حدث مع ديبا مما أدى إلى انهيارها، دائمًا ما تتردد على المستشفى لما يحدث لها من إغماء وانهيار حزنًا على أماني..

ولأن الأب كان أكثرهم حكمة، ففكر أنه من العقل أن تشغل ديبا عن فاجعة موت أماني بشيء آخر يُلهيها عن حزنها، فقرر أن يتم كُتب كتابها على عمرو في أقرب وقت. وعندما عرض الأمر على عمرو لم يُناع فهو يفهم جيدًا تفكير والد ديبا، ولكن ديبا رفضت فكيف لها أن تتزوج بعد أسبوعين من وفاة أختها؟ كيف لها أن تشعر بالفرحة وأختها بعيدة عنها؟

استغرب الجميع موقف الأب ولكنه لم يُبال، ما كان يشغله هي ديبا فقط..

عرفت هي ذلك عبر حديث سمعته خلسة دار بين أبيها وأمها تسأله الأخيرة فيه عن سر تعجله ، وعن أنه لا يمكن أن تتم الخطوبة قبل أن تمر فترة كافية على وفاة أمانى فكان رد الأب:

- أديكى شافيه يا سعاد حالة ديبا، كل يوم تعب ومستشفيات، البنت داخله على اكتئاب من كتر الحزن، وأنا مش هستنى أنها تضيع مني هي كمان، لازم تشغل بحاجة، لازم نكسر الحزن والألم اللي احنا فيه، لازم نتغلب على الجرح ده، لو فضلنا كده هنموت كلنا من الحسره والوجع.

كان الأب يبكي وهو يتحدث، وبكت أيضاً الأم المكلومة من كلامه، أكمل كلامه قائلاً:

- لازم ديبا تقوى، لازم تعرف إن أمانى ودیعة وربنا استرذها، مينفعش نعترض على قضاء الله، ومينفعش نوقف حياتنا ونكملها في حزن، لازم يكون عندها إيمان بالله أن هو ده الخير، ساعديني يا سعاد نقنعها بكتب الكتاب، وجود عمرو دايماً معاها هيهوّن عليها كثير.

وبالفعل وافقت ديبا بعد ما سمعته إن كان ليس من أجلها فمن أجل أهلها. اتصل الأب بعمرو، و طلب منه أن يُحضر أهله ويأتوا في المساء لكتب الكتاب، استغرب عمرو جداً ولكنه ذهب في الموعد هو وأبوه وأمه وأخوه الأكبر، وعقد القران وسط الدموع و وجع القلوب، بدأ والد عمرو بسؤال والد ديبا عما يُريده من مهر وشبكة وشقة إلى آخره، رغم أن ذلك الكلام

متأخر كثيراً، وكان يجب الاتفاق عليه قبل كتب الكتاب ولكن قاطعه والد ديبا قائلاً:

- مش مهم الكلام ده، اللي مش هتجبه انتوا هنجبيه إحنا، المهم نفرح بالولاد.

ومرت الأيام، وديبا تعيش على ذكرياتها مع أختها، تلك الذكريات التي كانت تمدّها بالدفء والراحة، على عكس ما يظن بعض الناس أن الذكريات تمزق قلوب أصحابها. كان من الطبيعي أن تكون هذه الفترة في حياة عمرو وديبا من أسعد أيام حياتها ولكن للأسف لم يحدث ذلك. فقدان ديبا لأختها كان دائماً يمنعها من الفرحة، كانا دائماً يذهبان معاً لزيارة المقابر، كانت ديبا دائمة البكاء.. وكان عمرو دائم المواساة لها..

بعض المحيطين استغربوا من تكرار ديبا وعمرو لزيارة المقابر في فترة يفترض فيها البهجة، وكانوا يرون أن ذلك شيء مخيف ويدعو للكآبة، وإصرارهما عليه غير مفهوم فكان رد ديبا عليهم:

- فيه ناس بتخاف من زيارة المقابر وشايفها مخيفة .. مش عشان هي مخيفة .. بس عشان هما ملهمش حد غالي فيها.. مفيش حاجة خلتهم يزورها عشان يحسوا إذا كانت مكان جميل أو لا أو مخيف ولا لا، أنا بقي جربت زيارتها وممكن أقول إن المقابر بالنسبة ليا هي أكثر مكان بحس فيه بالراحة النفسية.. أكثر مكان بحس فيه بصفاء القلب والروح.. أكثر مكان بحس فيه بالأمان.. أحياناً بحس أن بيني وبين المكان ده قصة عشق..

وباستغرب لما حد يكسّل يزور والده أو والدته أو حد غالي عليه موجود هناك.. رغم إن مفيش اختلاف في إنهم بيحسّوا بيك ويفرحوا بوجودك ويستأنسوا بيك، ربنا ما يكتش على حد إنه يفقد حد من أهله أو أحبابه.. بس بجد المقابر جميلة جدًّا.. آه ليها رهبة لأن الموت طبعًا ليه رهبة بس حتي رهبتها مريحة نفسيًّا جدًّا، مكان بحس فيه إن الدنيا دي ولا حاجة ومهما رُحت وجيت فيها في الآخر مكانك هنا.. لا حول ليا ولا قوة.. بتديلي طاقة إني أحاول أعمل لآخري أكثر وتقلل من حب الدنيا في قلبي..

تناول عمرو بعضاً من أصابع البطاطس الموضوعه أمامه على الطاولة التي أعدتها ديبا بعد تلبية نرمين وممدوح لدعوتهما على الغداء يُصبر بها جوعه ، قبل لحظات من ارتفاع رنين جرس الباب الذي أعلن عن قدوم ضيف آخر.. وإذا بممدوح يطل عليهم بابتسامة تكسو وجهه الأسمر المستدير، حاملاً في يده باقة من الزهور، ومن بعده وصلت نرمين.. فتغير لون وجهه حين رآها وألقى عليها السلام دون أن ينظر مباشرة في وجهها وكذلك هي فعلت دون أن يلاحظها أحد.. ماعدا ديبا التي التقطت الأمر فأجابوها بعد ضحكة متهربة: أن لا شيء .

لم تستغ ديبا الموقف برغم ردهم ومروره.. وظل قابعاً في ركن مهممل من عقلها طفا مرة أخرى إلى السطح.

بعد خمسة أشهر من الموقف .. حين أرسل هيثم رسالة إلكترونية لها .
استغربت في البداية اسمه المرفق مع الرسالة .. فمنذ وفاة أختها وحضوره
العزاء لم تسمع عنه شيء ..

فتحت دينا الرسالة لترى ما بها :

- أو لا يا دينا أنا ببعثلك عشان أطلب منك تسامحيني، أنا عارف إني آذيتك
قوي وظلمتك، وعارف إنك دلوقتي بتكرهيني وممكن تكوني بتتدعي عليًا،
بس انتي عارفة أنا حبيبتك قد إيه فكان غضب عني، أرجو كي تسامحيني ..

أنا فكرت كثير قبل ما اكتبلك الرسالة دي بس والله انتي صعبانة عليا،
إبعدي عن اللي اسمها نرمين، والله نرمين دي عمرها ما كانت صاحبتك أو
بتحبك، دي مش بني آدمة، دي أزيل إنسانه شوفتها في حياتي، دي حربية
بتتلون على كل لون، أنا عارف إنك مستغربة كلامي، بس لازم تعرفي إن
نرمين هي اللي كرهتني فيكي وشيئتني منك، ووصلتنا للي احنا فيه لما زمان
حكيتي إنك بتحبي عمرو وبتتكلموا، وبعد ما أنا وانتي بعدنا عن بعض،
ارتبطت بنرمين شهرين ونص، ووالله العظيم طول الفترة دي ما كانت
بتجيب سيرتك بكلمة كويسة لا إنتي ولا محمد، كانت بتقول عليكم أبشع
الكلام، وأنا وقتها كنت ضعيف ومجروح منك فمش هانكر إن أنا كمان كنت
بغلط فيكي جدًّا، إبعدي عنها، إنتي إنسانة كويسة ودي مينفعش تكون
صاحبتك .

قرأت ديما الرسالة بثبات ودون أن تهتز من مشاعرها شعرة ، ثققتها في أنه إنسان كاذب، وثقتها في صديقتها منعتها من أن تصدق أي حرف قرأته.. وبمتمهي الثقة أرسلت له الرد قائلة:

- كفايه كذب بقى يا هيثم! انت ليه عايزني أبعد عن كل اللي بيحبوني وباحبهم، الأول عملت المستحيل عشان عمرو يبعد عني، ودلوقتي عايزني أبعد عن نرمين، إنت عايز مني إيه، ليه بتكره تشوفني سعيدة وسط ناس بحبهم وبيحبوني، حسبى الله ونعم الوكيل فيك.

أرسلت ديما الرسالة ثم اتصلت بعمرو الذي كان يراها على خطأ لأنها أجابت على رسالة هيثم ولم تتجاهله.. وطلب منها ألا تفكر في كلامه لأنه بالتأكيد كاذب، وألا ترسل له مرة ثانية مهها كان الأمر ووعدته ديما بذلك، وبعد ساعات فتحت ديما البريد الإلكتروني مرة ثانية، فوجدت هيثم قد أرسل رسالة أخرى يقول:

- يا ديما انتي مش فاهماني! أنا بجد عايز أفتح عينك عشان انتي ماتستهيليش تعيشي مش فاهمة حاجة، أنا مش باكدب، فاكرة اليوم اللي اتقابلتي فيه انتي ونرمين في الكافيه وكانت بتكلم حبيبها، وانتي وصلتيها بنفسك لسيتي ستارز، أنا حبيبها ده.. كنتي بتستغربي دايماً إني عارف كل كلام بينك وبين عمرو مسألتيش نفسك ازاى، عشان نرمين كانت بتتنقلي كل كلمة بينكم، مسألتيش نفسك هي بعدت عنك ليه، انتي ازاى مش قادرة تشوفي الحقيقة، أنا هبعثلك دلوقتي ملف، فيه كل الشات اللي كان بيني وبين نرمين خلال ٤ أو ٥ شهور منهم شهرين ونص ارتباط عشان تصدقي بنفسك.

قرأت ديبا الرسالة وهي تشعر بدهشة، فهي لا تصدق أبداً ما يقوله وتثق تماماً أنه كاذب ولكن كيف عرف كل ذلك.. كيف عرف تفاصيل يومها مع صديقتها في ذلك الحين؟؟

تسرب بعض من الشك إليها .. فاتصلت بنرمين وقالت لها قبل أي سلامات بينهما:

- نرمين هو انتي كتنى مرتبطة بهيثم؟

فكان رد نرمين التلقائي:

- هيثم مين؟

شعرت ديبا أن نرمين لم تستوعب ما قالته، فحككت ديبا لها ما حدث مما أدى إلى استغراب نرمين أيضاً لما قاله هيثم وقالت في ثقة:

- هو ليه بيقول كده أصلاً!! كمان غريبة أووي إنه عرف الكلام اللي بينا ازاي، زي ما يكون كان معنا؟

وبعد تفكير منها قررتا تجاهل كلامه، فالكل يعرف من هو هيثم وكيف أنه حاول جاهداً أن يعكس صفو حياة ديبا..

تفكير ديبا المتواصل فيما يفعله هيثم جعلها تشعر بالكره الشديد له، كانت دائماً تتساءل كيف له أن يعيش في ظل ذلك الكذب؟ وما الاستفادة التي يجنيها عندما يتسبب في أذى الآخرين؟ فأرسلت إليه رسالة تُوبخه فيها وتوجه إليه الإهانات، ظناً منها أنها بذلك ستُخمد النار التي دائماً ما يشعلها بداخلها..

في اليوم التالي كان عمرو يتناول الغداء في المنزل مع ديبا وأهلها وبالصدفة رأى على موبيل ديبا رسائل البريد الإلكتروني بينها وبين هيثم وعرف أنها أرسلت إليه رغم أنها وعدت عمرو ألا تفعل ذلك فغضب غضباً شديداً، وانصرف وهو في قمة الانفعال، ظلت ديبا تبكي لأن تلك هي المرة الأولى التي ينفعل فيها عمرو عليها وحاولت مراراً الاتصال به دون جدوى، وبالصدفة اتصلت نرمين بديبا لتطمئن عليها، وحكت ديبا لها ما حدث بينها وبين عمرو، حاولت نرمين تهدئتها وقالت لها إنها ستتصل بعمرو وتصلح بينهما، وبالفعل بعد أقل من نصف ساعة، اتصل عمرو بديبا وقام بمصالحتها واعتذر عن انفعاله عليها..

مر شهر والآخر وأتى يوم زفاف ديبا وعمرو، وبسبب الظروف التي مرت بها ديبا وأهلها فقد قرر عمرو وديبا أن يكتفيا بعشاء يضم العائلتين بدلاً من حفلة الزفاف، ولكن اعترض والد ديبا بشدة؛ فتلك الليلة ليلة عمرها ومهما كان حجم الحزن بداخلهم فسيجعل كل ما في وسعه محاولاً إدخال السرور علي قلوبهم جميعاً..

وفي جولف سيتي العبور .. حيث الهواء النقي وسط المساحة الكبيرة الخضراء والأزهار المختلفة ألوانها، والقرب من حمام السباحة الممتلئ بالبالونات كانت تجلس ديبا بثوبها الأبيض الجميل المصنوع من الدانتيل المطرز، ويمتد ذيل ثوب عرسها خلف ظهرها في دائرة كبيرة، ترتدي حجاباً

من الدانتيل المزوج بالشفيفون عليه تاج من اللؤلؤ المرصع بقطع الماس،
وتضع مكياجًا هادئًا ورقيقًا كثوبها ..

أما سلمى فكانت بالقرب من صديقتها وذهبت إليها وانحنت لتضع
قُبلة رقيقة على رأسها، وتساقت دمعة من عينيها من شدة الفرح؛ وفرحتها
بزفاف صديقتها لا يمكن التعبير عنها بأي كلام.

حضر بعض الأصدقاء والأهل وكان يومًا جميلًا جدًّا، ينقصه أماني رحمها
الله ومحمد الذي هاجر وانشغل بعمله وأصبحت علاقته بديا وأهله مجرد
مكالمة كل يومين أو ثلاثة ..

وبعد شهر العسل أرسل هيثم باقة من الورد الجميلة لهما على المنزل
وكارت مكتوب فيه، "ألف مبروك، بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما
في خير، أتمنى لكما كل السعادة".

لم تتأثر ديا بالورد أو الكارت ولم تُبدِ أي تعليق عليهم، إلا أن عمرو قال
لها:

- سامحي يا ديا بقى، كل واحد منا بقى في طريق ومالناش دعوة بيه، بس
سامحيه مش عشانه هو، عشانك انتي، بلاش تعيشي شايله في قلبك من حد،
الدنيا مش مستاهلة.

ولكن لم تُبدِ ديا أيضًا أي تعليق على كلام زوجها، هي أيضًا مقتنعة
بكلامه ومقتنعة أن التسامح يُنقي القلب ويهدب النفس ويُقلل من الحقد

والغل، ظنت ديبا أنها بطبيعتها متسامحة، لكنها عرفت كم هي شديدة البعد عن التسامح عندما عرفت هيثم وعندما أساء إليها وجرحها جرحًا لم تستطع أن تشفى منه ..

قام بعض أصدقاء ديبا في الجامعة بزيارتها عقب عودتها من شهر العسل؛ فطلبت منها لبني -إحدى الصديقات- التي لا تربطها بها علاقة قوية أن تحدثها على انفراد، وبالطبع استجابت ديبا فقالت لها لبني:

- أنا عارفة إن المفروض ما اتدخلش، بس لازم تعرفي، أنا مش عارفة أبدأ ازاي؟

كانت ديبا تنتظر لتعرف ماذا ستقول لبني، وعند سكوت لبني اضطربت ديبا وطلبت منها أن تتحدث في الموضوع بدون أي مقدمات، فأكملت لبني كلامها بصوت مرتعش:

- أنا مستغربة هي ازاي نرمين صاحبتك كدة، احنا خرجنا تانى يوم فرحكم كلنا ونرمين فضلت تتريق عليكى وعلى جوزك كثير، وكان أسلوب كلامها عنك وحش جدًا.

استغربت ديبا من كلام لبني وقالت لها:

- ازاي يعني؟!

فقالت لبني:

- يعنى فضلت تقول أن جوزك بيسمع كلامك في كل حاجة، بس مش بأسلوب كويس، هي كان نفسها تبيّن للناس انه بيعمل اللي انتي عايزاه مش عشان يبجبك وعايز يسعدك، كانت بتحاول تبيّن بطريقة مش مباشرة إنه بيرضيكي في كل حاجة ضعف شخصية منه، وفضلت تقول كما أنها مستغربة إنك فرحانة وبتتجوزي وأختك ماتت من كام شهر بس وكلام كتير غريب.

سكتت ديبا وبداخلها شيء يقول إن لبنى تكذب، ولكنها قالت لها بدون أى تعقيب آخر: أوكى.

و جلستا مع باقي أصدقاء الجامعة الذين حضروا للمباركة وتقديم التهاني، وبعد انصرافهم شردت ديبا بذهنها تفكر فيما قالته لبنى، وتذكرت أن ريهام صديقتها قالت لها منذ وقت بعيد إن نرmin تتحدث عنها بطريقة غير لائقة واتهمت ديبا وقتها ريهام بالكذب.. أصبحت ديبا غير قادرة على التفكير..

رآها عمرو وشاردة الذهن فسألها عما حدث وعن ما قالته لبنى لها، فحكّت له فقال عمرو:

- إنتي محتاجة تفكري شوية يا ديبا، مش ملاحظة إن غريبة شوية إن كذا حد يحدرك منها، وكلهم ناس متعرفش بعض، إنتي بتثقي فيها ثقة عمياء وده مش صح، لازم تفكري وتسألني نفسك، ليه كميه التحذيرات دي؟؟

سكتت ديبا ثم قالت:

- يعني إيه، يعني ممكن أكون اتخذت فيها، لا لا مش ممكن يابني دي
أختي، لا يمكن أشك فيها!
فقال عمرو:

- طيب افرضي معايا يا ديبا إن كلامهم طلع صح، أو إن كلام هيثم صح
وإنها كانت مرتبطة بيه وهي اللي بتكذب عليكي... وإن مثلاً...
لم يكمل عمرو كلامه عندما رأى الدموع تملأ عين ديبا للمجرد الافتراض
أن صديقتها ليست بصديقة، فقال:

- ياه!!! يا ديبا!!! للدرجة دي؟

مسحت ديبا دموعها قائلة:

- أنت مش فاهم يا عمرو، نرمين دي مش بس صاحبتني، نرمين زي أختي
بالظبط، أنا بحبها أوى، لما باتعب أو باتضايق مش برتاح غير لما أحكيلها،
لما كانت مرتبطة بمحمد كانت دايمًا في مشاكل مع محمد، وانت عارف أن
عمرنا ما كنا بتتخانق بس كنت بتخانق معاه عشانها وعشان بيزعلها، لدرجة
إن ماما كانت بتستغرب هو أنا أخت مين أخت نرمين ولا أخته؟ كنا مع
بعض في الجامعة والبيت وكل حاجة، مش بنسيب بعض غير وقت النوم
بس، أمها بحسّها أمني، وأخواتها أخواتي، حتى لما كانت هتتخطب والله رغم
الوجع على أن خطوبتها على حد غير أخويا بس اتمنت ليها السعادة من كل

قلبي، لما بصلي هي أول واحدة بدعيها ربنا يحلي أيامها ويكتبها الخير، إحنا مش مجرد أصحاب أنا وهي، إحنا أختين؟

فرد عمرو:

- خلاص يا ديا مادام واثقة كده متشغليش بالك.

امتلات عينا ديا بالدموع وهي تحكى لصديقتها سلمى عما قالته لبني، فقد اتصلت ديا بسلمى خصيصًا لمقابلتها بسبب ذلك الموضوع، فهي بحاجة إلى الكلام مع شخص تثق به، وكان رأي سلمى نفس رأي عمرو بأن على ديا التفكير جيدًا في كل ما قيل لها ..

- دي كدابة، هو فيه إيه محدش سايبني في حالي ليه؟!!

بهذا ردت نرمين في اتصال قامت به ديا حكّت لها فيه عما قالته لبني:

- وخلاص بقى يا ديا مادام بتيجي تسأليني عن كل كلمة حد بيقولها لك تبقي انتي مش واثقة فيا، ومادام مش واثقة فيا يبقى ملهاش أي لازمة صحوبيتنا دي وكل واحد يكمل حياته بعيد عن التاني، أرجوكي يا ديا كفاية ومنتصليش بيا تاني.

لأول مرة لم تتأثر ديا بعصية صديقتها، لأول مرة تشعر ديا بانفعال صديقتها ولا تحاول تهدئتها.. أحست ديا بأن هناك شيئًا خفيًا، لم كل هذه

العصية من صديقتها؟ كان عليها أن تثبت لها أن لبنى كاذبة، وبدون أي تفكير فتحت ديبا البريد الإلكتروني وظلت تبحث عن الملف الذي أرسله هيثم، عثرت عليها وفتحتة، وبمجرد أن رأته علمت أنه من الصعب أن يكون ذلك الملف مفبركا لأنه من ال chat log، كان ما يقرب ٥٠٠ صفحة، فكانت تمر بعينها خلال كل عشر صفحات على جملة أو اثنين، وإذا بعمره يسمع صوت بكائها، وهي تحاول إخفاءه ولكن الذي أحسته من جرح كان أقوى من أن تتحكم في نفسها..

ظلت تكتم أنفاسها حتى لا يسمع بكاءها أحدًا، ولكن صدمتها كانت فوق أي شيء، جرى عليها عمرو واحتضنها، كانت ترتعش في حضنه، ظل صوت بكائها يعلو ويعلو، وكلما علا زاد احتضان عمرو لها، وأخذ عمرو اللاب توب ليرى ماذا قرأت و تسبب لها بكل ذلك، وإذا به يغلقه صارخًا:

- عالم زبالة وواطيين، إحنا غلطانين من الأول أن عرفنا الأشكال دي، والله ما يستاهلوا دمه واحده من دموعك يا حبيبي، أهدي يا ديبا أرجوكى وفوقي، مش دول اللي تبكي عليهم أو عشانهم.

حاولت ديبا أن تجمع كلماتها المبعثرة:

- أنا مش بعيط عليهم، أنا بعيط على نفسي، ليه بيكرهوني كده، أنا عملتلهم إيه، أنا مكنتش باخدعه زى ما بيقول، أنا بسببه تعبت نفسيًا والله أيام كثير عشان مش عايزة أجرحه أو أوجعه، وواحدة كانت أقرب ليا من إخواتي وعمري ما أذيتها أو شافت مني غير كل خير وحب، ليه كده؟؟، ولية كمية

النفاق دي، ما كانت تقولي في وشي إنها بتكرهني، ليه تعيش بوشين، وش بيحبني وبيخاف عليا ووش تاني بيطعني في ضهري ويوجعني!

ما قرأته ديا كان فوق أي استيعاب، فهما لم يرتبطا ببعض فقط، ولكنها دائما في سيرتها بالباطل، تكلمنا عنها وعن سمعتها وشرفها وأخلاقها، اتهاها بأنها كانت على علاقة محرمة بهيشم، كلام حقير لم تقوَ على استيعابه أو فهمه، بصرف النظر عن أن الكلام من الصعب أن يخرج من إنسان مسلم يخاف الله، وهما ليسا فقط بمسلمين؛ بل كانا يوما ما أعلى ما لها، لم كل ذلك الكره؟ لعل سبب كره هيشم معروف ولكن، لماذا فعلت نر مين كل ذلك؟

حاولت سلمى بكل ما تملك أن تكون بجانب صديقتها وأن تُهدئ من روعها، فالصدمة بالفعل كبيرة جدا عليها.. كانت تقضى تقريبا طيله اليوم معها، وذات يوم وبعد عودتها إلى منزلها، توضأت ووصلت ودعت لصديقتها ديا أن يذهب الله عنها ما بها من حزن، وذهبت إلى فراشها لتنام، ومدت يدها لتطفئ الأباجورة الموضوععة بجانبه. لكن عينها أبت النوم، صوره صديقتها ديا ودموعها ووجهها المفعم بالحزن لا يفارق عينها، أنارت سلمى الأباجوره وجلست علي فراشها والتقطت مدونتها كاتبة:

"الحقيقة، أنا عندما نحب شخصا ما، يتوقف عقلنا عن التفكير، ونفكر بقلبنا فقط، ننسى أن أي إنسان يمكن أن يُظهر عكس ما يُضمر لنا، ننسى أن الدنيا مليئة بالمنافقين والكاذبين ومن الممكن أن يكون أقرب الناس لنا ينتمي لتلك الفصيلة".

ديبا كانت تثق ثقةً عمياءً في نزمين، رغم أنها من الممكن أن تعرف الحقيقة منذ زمن، لو كانت اهتمت بكلام ريهام لها، أو كلام هيثم، أو لو كانت قرأت الملف الذي أرسله هيثم، لكن ثقتها بصديقتها منعتها من أن تفكر حتى أو تضع احتمالاً ولو ضئيلاً أن صديقتها ليست بصديقة..

"لا أعلم هل كانت ديبا لا ترى الحقيقة، أم أنها لم تكن تريد أن تراها.."

حاولت سلمى و معها ديبا وعمرو كثيراً أن يفكروا في سبب ما فعلته نزمين ولكن دون جدوى، فدائماً ما نسمع أن الغيرة هي المحرك الأساسي في مثل تلك المواقف، ولكن لماذا ستغار نزمين من ديبا، والاثنتان على قدر من الجمال، والاثنتان في نفس المستوى تقريباً، والاثنتان يجبهها أصدقاءهما، فما سبب تلك الغيرة؟ وإن كان الموضوع ليس له علاقة بالغيرة فما سبب الذي جرى؟ وما سبب الكراهية؟ أسئلة كثيرة لا توجد لها إجابات واضحة..

قررت ديبا الاتصال بنزمين، لعلها تعرف منها لماذا فعلت معها كل ذلك؟ أنكرت نزمين، بكل ما أوتيت من قوة، علاقتها بهيثم وأقسمت على ذلك، وطبعاً بعد ما رأت ديبا بنفسها ما بينهما من محادثات فلا أحد سيصدق كذبها أو قسمها، وعندما قالت لها ديبا:

- كفاية تمثيل بقى، ما كل حاجة بانة واتعرفت، والشات موجود من إيميلك وأسلوب كلامك، ليه عملتي فيا كده، ده أنا محبتش حد من أصحابي قد ما حبيتك، أذيتك في إيه عشان تعمل كدة؟! "

صمت خزي اشتمت خلاله دينار رائحة الخيانة .. تلك التي أفصحت عنها
نرمين وهي تصيح على الجانب الاخر من الهاتف قائلة في انفعال حاقد:

- أذيتيني في ايه؟؟ أنتى اكثر إنسانه أنانية شوفتها في حياتي، كان كل همك
زمان أفضل أنا وانتى أصحاب عشان حضر تك تكوني مبسوطه وأنا جيبك،
إنما مفكرتيش في مشاعري أنا، مفكرتيش ازاي صعب عليا أكون شايفاكى
قدامى وانتى أخت الإنسان اللي حبيته وخذلني، مفكرتيش فيا أنا لحظة، أنا
متأكدة إن انتى اللي كنتى بتوقّعى بينى وبين محمد، ما استحملتيش واحدة
تشاركك في أخوكى ويحبها، إنتى أنانية فعلاً، بتفكرى في مصلحتك وبس ..
يا شيخه ده انتى روحى التخطبتى وفرحتى وأختك لسة متوفية ولا كان ليكى
أخت زعلانة عليها!

لم تتحمل ديبا أن تسمع المزيد فأغلقت الساعة في ذهول. كيف تقول
نرمين مثل ذلك الكلام! ديبا كانت تحافظ على مشاعر نرمين جداً وكانت
مشاكلها مع أخيها بسبب حبها الزائد لنرمين. فلم تقدر يوماً أن تراها حزينة
بسبب أخيها، كانت تخاصم أخاها من أجل صديقتها. ديبا لم تتمنّ زوجة
لأخيها سوى نرمين فكيف لها أن تكون سبباً في بُعدهما كما تدّعي نرمين.
ولعل كل ذلك الكلام كان هيئاً إلا أن آخر جملة كسرت ديبا، كيف تتهمها
نرمين أنها ليست حزينة على أختها؟ نرمين تعلم جيداً سر ذلك الاستعجال
في الخطبة والزواج، وتعلم أن أهل ديبا فعلوا ذلك بسبب الوجد الشديد
والتعب الذي تعرضت له ديبا بسبب حزنها على فقدان أختها!

لكن بعد ذلك الجرح أصبح العتاب لا قيمة له، أصبحت الصداقة لا معنى لها بعد هذا الحقد الرخيص، أصبح كل شيء لا يستحق سوى التجاهل، فحقاً حينها يغيب الضمير يصبح كل شيء مباحاً.. وللأسف غاب ضمير نرمين وأباحت لنفسها كل شيء دون إحساس منها بالخطأ أو الذنب.

بعد مرور أسبوعين على تلك المكالمة التي كانت سبباً في تدهور حالة ديبا النفسية، وعندما بدأت في استرداد صحتها، فاجأها عمر وقائلاً لها:

- أنا كنت عارف إنها ارتبطت بهيثم على فكرة.

ذهلت ديبا كيف له أن يعرف ذلك، دون أن يخبرها.. سألته عن ذلك فكان رده:

- أنا حاولت كثير أقولك يا ديبا بس ما قدرتش، كنت بحاول ألمح ليكي من بعيد بس مكنتيش بتفهمني، لدرجة إنى قولتلك إفرضي إنهم كانوا مرتبطين، وانتي رديتي أن ده مستحيل وعيَّطتى لمجرد فرض، وأنا كنت خايف عليكى أوي، كفايه عليكى وجع فراق أمانى الله يرحمها وسفر محمد، مكنتش قادر أقولك عشان متتعيش أكثر، وفي نفس الوقت قولت لنفسى يمكن نرمين ندمت وبتصلح اللى فات.

زادت صدمة ديبا مما قال لكنها لم تنطق بأي تعقيب أو رد على كلامه، واستأذنته أن تذهب إلى غرفتها لأنها تشعر بالتعب وتود أن ترتاح قليل، وساعدها إلى أن وضعت جسدها المتعب على سريرها وتركها لتنام. ولكن كيف للنوم أن يقارب عينيها وهي في تلك الصدمة، كيف لجفنها أن يغفو

وهي تفكر في ألف شيء، كان عقلها وقلوبها يتساءلان كيف لشخص أن يخدع
آخر إلى هذا الحد، هل هذا غباء منها، أم طيبة؟

ظلت تسأل نفسها هل هذه نرmin التي ضحّت ديبا بأصدقائها من أجلها؟
هل هذه نرmin التي كانت كل يوم في بيت ديبا ومعها؟ هل هذه نرmin التي
كانت الأخت المقربة لها؟ .. جرحتها لمدة طويلة دون أن تشك ديبا فيها ولو
ثانية واحدة، في الوقت الذي كانت تدعو ديبا فيه لها أن يسعدها الله مع من
اختارته، كانت تطعن فيها وتخطط لجرحها وإيذائها..

وفي لحظة نهضت من فراشها رغم إرهاقها وارتدت ملابسها، وانطلقت
تعدوا خارج الشقة، حاول عمرو أن يسألها: إلى أين تذهب؟ ولكنها أخذت
سيارتها وتحركت بسرعة كبيرة..

ركنت سيارتها أمام قسم شرطة مصر الجديدة، ودخلت القسم وهي في
حالة انهيار، قابلها أحد الأفراد وسألها ماذا بها؟ وماذا تريد؟ فأجابت أنها
تريد أن تحرر محضراً، ذهبت إلى الضابط الذي كان يجلس ينظر إليها في حيرة
حين رآها، وطلب منها الجلوس حتى يفهم منها ماذا حدث..؟

قالت بحروف مبعثرة:

- انا عايزة اعمل محضر سب وقذف لواحدة كنت أعرفها.

استغرب الضابط

- سب وقذف؟؟

انهارها هيأ له أن هناك شيئاً كبيراً، ولكنه تفاجأ أن كل هذا الانهيار بسبب إهانة شخص لها. حكّت ديبا كل ما حدث واستمع إليها بعناية شديدة. وبعد أن أنهت كلامها قال لها:

- يا مدام ديبا! أنا شايف الموضوع مش مستاهل أصلاً، ده لو أي حد عمل محضر لحد شتمه أو غلط فيه هيبقى عندنا مليون محضر وأكثر، إنتِ بس عصبية زيادة عن اللازم لأن واضح من كلامك إنها كانت غالية عندك لكن الموضوع فعلاً مش مستاهل.

أكدت ديبا على تمسكها بتحرير ذلك المحضر، وطلب منها الهدوء والعودة إلى بيتها وأعطى لها رقم هاتفه وطلب منها أن تُحادثه عندما تهدأ وتفكر في كلامه وهو سيفعل ما تريد..

عادت ديبا إلى منزلها وكان في انتظارها عمرو وقلق، لأنه حاول اللحاق بها دون جدوى، وسألها بعصبية أين كانت؟ ولماذا لم تجب على هاتفها المحمول؟.. حكّت له ديبا ما حدث فلم يتمالك عمرو نفسه قائلاً:

- إنتي التجنتي، ازاي تروحي قسم لوحدك وازاي متقوليليش؟ عارفه يعنى إيه بنت تدخل قسم، وعارفه كان إيه ممكن يحصل، كان ممكن تقعي في ظابط مش محترم هزّرك ولا سمعك كلمة ملهاش لازمة، كان ممكن تشوفي مناظر مينفعش تشوفها، رايحة القسم عايزة عملي محضر عشان ناس شتموكي أو غلطوا فيكي! ده إيه التفاهة دي؟! ما يولعوا بجاز، الموضوع ما يستاهلش كل ده.

اندهشت ديبا من رد فعل زوجها، ظنت أنه سيسعربها ولن يُوجه لها كل ذلك النقد، ولم تتمالك نفسها وانهارت باكية، أحس عمرو أنه كان قاسياً، بالفعل هي تعطي الموضوع أكبر من حجمه، ولكن وجعها ليس هيئاً، فعندما يجرح الشخص الطيب الذي يثق بالآخرين يشعر بوجع مضاعف عن غيره.

قَبَلها عمرو قبلة حانية على جبينها وطلب منها أن تسامحه على عصيته، ووعدا أن يفعل ما يريها حتى إن كانت راحتها في ذلك المحضر، وطلب منها أن تستريح وتحلد للنوم وعندما تستيقظ سوف يتناقشان بموضوعية في كل شيء..

وفي الصباح لم يذهب أي منهما إلى عمله، لأن ديبا مرضت وأصبح ضغطها منخفضاً كالعادة وظل عمرو بجانبها. طلبت منه أن يتصل بعاصم أخيه الذي يعمل محامياً بأحد مكاتب المحاماة الكبرى ويطلب منه الحضور حتى يأخذوا رأيه في الأمر وبالفعل حضر عاصم وقصوا عليه ما حدث فقال لهم:

- أولاً يا ديبا أنا كمان مش شايف أي لازمة لكل ده، بس أنا هريحك، لكن قبل أي حاجة لازم تعرفي كذا حاجة، محاضر السب والقذف دي حبالها طويلة وبتأخذ وقت، وفي الآخر لو اتحكملك بيتحكم بتعويض ٢٠٠ ولا ٣٠٠ جنيه وانتي بتصرفي أكثر من كدة بكثير، فالموضوع كله مالوش أي لازمة.

ولكن ديبا كانت مصممة على رد كرامتها التي أهانها هيثم بمساعدة صديقتها وأصرّت أن تسير في ذلك الاتجاه.. حاول معها عمرو وأخوه كثير في إقناعها أن تراجع ولكن دون جدوى، فقال لها عمرو:

- يا ديبا! انتي السكينة سرقاكي عشان لسة جرحك من صاحبك صاحي، بكرة هتتشغلي في بيتنا وحياتنا وبتعرفي أن كل ده لعب عيال، وحتى يا ستي لو مش لعب عيال ديننا بيحسنا على التسامح، يا ديبا! دي السيدة عائشة أشرف النساء أتمت في شرفها، ودي زوجة الرسول، ومع ذلك لما أبوها أبو بكر الصديق كان هيقف النفقة اللي كان بينفقهها على مسطح بن أثاثة عشان خاض في عرض بنته، ربنا نزل الآية الكريمة، بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النور: ٢٢)، فطبعاً سيدنا أبو بكر بعد الآية دي سامح واستمر في النفقة على مسطح، عشان كلنا لنا أخطاء وبتمنى ربنا يغفر لنا..

قاطعته ديبا قائلة:

- يا عمرو أنا عارفة كل ده بس أنا مش قادرة! أنا بني آدمة عادية، إيه اللي هيوصلني لصحابي زي أبو بكر.. وربنا قال نعفو ونصفح لو قدرنا، وأنا مش قادرة، أرجوكم امشوا في إجراءات المحضر في أقرب وقت.

بعد الانتهاء من وجبة العشاء التي شاركهم فيها خال سلمى، أحضرت أمها الشاي وبعض الحلويات، مدَّ الخال يده لالتقاط إحدى قطع الحلوى ناظرًا إلى سلمى التي لاحظت علي وجهها علامات الإحباط، ثم عرض عليها أن تكتب مقالاً شهرياً في مجلة شبابية يمتلكها أحد أصدقائه، ولكنها رفضت بحجة أن حلمها ليس الكتابة، حلمها أن تكون إعلامية وتقدم برامج هادفة للمجتمع، فكان رد خالها:-

- انتي عايزة تكوني مذيعه ليه يا سلمى!؟

قالت سلمى:

- أنا مش بفكر في الشهرة والفلوس، أكيد دي حاجات مهمة بس مش أساسية بالنسبة ليّا، لكن أنا عندي هدف عايزة أوصله؛ أنا أصحابي بيحبوا يسمعو كلامي، بيتقنعوا بوجهات نظري، بيشفوا إني باقدر أوصل لقلوبهم، فأنا عايزة أوسّع الدائرة دي، عايزة أوصل لقلوب ناس كثير، عايزة أفيد غيري وأستفيد .. والعمل في الإعلام هو أكثر شىء مؤثر، وبيوصل لكل الناس، فلما أقدم برامج مفيدة تفيد الشباب والمجتمع؛ شوف كام حد هيشوف البرامج وكام حد هيستفيد!!؟

قال الخال مبتسماً:

- تمام يا حبيبتى، يعني عندك رسالة!؟

ابتسمت سلمى وقالت:

- بالظبط.

فقال الخال:

- طيب إيه المشكلة لما الرسالة دي توصليها بالكتابة؟ لحد ما ربنا يريد
ويأذن إنك تكلمي توصيل الرسالة دي عن طريق شاشة التلفزيون!!

صمتت سلمى قليلا تفكر في كلام خالها ثم قالت:

- أوعدك هفكر.

اتصلت سلمى بديها و طلبت منها أن تحضر هي وخطيبها عليّ لتهنئة ديبا
وعمر و في بيتها، وبالفعل رحبت ديبا بذلك وذهبت سلمى وعلّي إليها في
المساء..

نظرت سلمى حولها في إعجاب شديد، فقد كان منزل ديبا وعمر و جميلا،
يعكس ذوقا راقيا في التصميمات والديكور، الأثاث كلاسيكي مما زاد من
جمال المنزل وأناقته، والأرضية من البورسلين الأسود الفاخر، وهناك بعض
اللوحات الفنية والمرسومة على الحوائط البيضاء الناصعة..

تبادلوا جميعا الأحاديث، أحست سلمى أن هناك شيئا خفياً تحبّه ديبا،
هناك نظرة حزن تطل من عينيها، لم تقوَ سلمى على معرفة هل هذه النظرة
بسبب ألم فقدانها أختها أماني أم هناك شيئا آخر؟ أخذت سلمى بيد صديقتها
وجلستا في غرفة أخرى، وسألته سلمى ماذا بها؟ ولم هذا الحزن، فانفجرت
ديبا بالبكاء تحكي لصديقتها كل شيء. كانت سلمى تسمع لحديث ديبا

مذهولة، حاولت أن تهدي من روعها دون فائدة، استمرت دينا في كلامها
وبكائها قائلة:

- أنا عارفة إنك شايفة إني غلطانة في موضوع المحضر وإن مكنش ينفع
أعمل كدة مع واحدة كانت صاحبتني، بس اللي عملته كان رد فعل لعمالها..
أنا كنت طيبة معاها لأبعد الحدود، كنت صديقه وفيّة، بأحب وباحترم وبقدّر
صاحبتني، عشان كدة وجعي كبير، أنا مش قادرة يا سلمى، مش قادرة بجد،
أوقات بيكون فيه ناس متسامحة جدًّا.. لكن بتيجي عند شخص معين ومهما
حاولت إنها تسامحه مش بتقدر. مش سواد قلب لكن بيكون الوجع والجرح
صعب جدًّا عليها وبيكون غير متوقع من الشخص ده بالذات.. فمش بتقدر
تسامح، بيبقي صعب عليهم لما يفتكروا قدّ إيه كانوا يبحبوا ويضحّوا ويدّوا
ويكتشفوا إن كل اللي أخذوه كره وجرح ووجع.. حاجات كتير يا سلمى
كل ما افتكرها أتوجع.

عارفه يا سلمى أنا عرفت دلوقتي سرّ ارتباكها هي وممدوح لما شافوا
بعض، لأن ممدوح كان عارف حقيقتها وعارف ارتباطها بهيثم، وعارف
كلامهم عني، ممدوح حكالي إنه اتصدم لما شافها مكنش متوقع إنها جبارة
لدرجة دي، وممكن تدخل بيتي وتعمل دور صاحبتني بعد كل اللي عملته،
أنا حاسة إني كنت مغفلة أو ووي، كل اللي حواليا كانوا عارفين حقيقتها وأنا
لا، متضايقه أو ووي إني كنت صعبانة عليهم وشايفيني غلبانة، يا سلمى! ده
أنا كمان عرفت أن مش هيثم بس اللي كان عايز يبعد بيني وبين عمرو، دي

نرمين كمان حاولت تعمل كده.. تخيلي يا سلمى، أول ارتباطي بعمر، نرمين كلمت عمرو وقالته إني ماستاهلوش، وإني بكذب عليه في موضوع هيثم وإني مش ناويه أسيب هيثم، وفي نفس الوقت عايزة عمرو معايا - تخيلي؟؟ تخيلي صاحبتني تقول عليا كدة؟؟

- هو عمرو اللي حكاالك كلامها ده؟

- أيوة! عمرو حكاالي قريب بعد ما عرفت حقيقتها، ما حكايش وقتها.. هو ما اهتمامش بكلامها وحمد ربنا لما بعدنا عن بعض، وكان فاكر لما رجعنا تاني أنا وهي نتكلم بعد وفاة أماني إنها اتغيرت بس اتأكد إنها ما اتغيرتش، عارفة كمان لما بعث لهيثم إيميل، و عمرو زعل مني وهي قالت إنها هتكلم عمرو وتصلحننا على بعض، هي فعلا كلمته بس عارفه قالتله ايه، قالتلوا إنه لازم يأخذ موقف مني عشان أنا ما سمعتش كلامه، وبرضه بعث ايميل لهيثم، عشان كده عمرو كلمني، كلمني يصالحني مش عشان هي كانت عايزاه يصالحني زي ما انا كنت فاهمة، ده كلمني عشان حس الشر اللي جواها ناحيتي كبير قد إيه، فصالحني عندها فيها وعشان ما يديهاش فرصة إنها تفكر توفّع بينا تاني، أنا بجد مصدومة.. ليه ما كانتش عايزة عمرو يكمل معايا، للدرجة دي مش عايزاني أفرح؟ دي أكثر إنسانة عارفة إني باعشق عمرو، ليه كانت عايزاه يبعد عني، ليه كانت عايزة تعمل أي حاجة تكسرنني؟!

أنا بجد مش قادرة، دلوقتي بس فهمت معني نظراتها لما شافت الدبلة في إيدي، وعرفت إن عمرو خطبني، مكنتش مستغربة التوقيت زي ما وهممتني،

دي كانت مستغربة إن محاولتها هي وهيثم فشلت، وإني كملت أنا وعمرو واتمَّسك بيَّا بعد كل كلامهم وقرْفهم، أنا نفسي أعرف ازاوي كنت بحس إن كل حضن بتحضنهنولي صادق، وهو في الحقيقة كان كذب وحقد وكره، ازاوي مقدرتش أفهم حقيقتها غير متأخر أوي.

احتضنت سلمى صديقتها ديبا، وبكت معها فهي تشعر بكمّ الوجود الذي يوجد داخلها، سألتها سلمى عن رد فعل نرمين عندما علمت بأمر المحضر فقالت ديبا وهي تمسح دموعها:

- لما وصلها هي وأهلها موضوع المحضر اتصلت بكل أصحابنا وقاتلهم إني عملتلها محضر كذب واقتراء، وتبلىَّ عليها وعملت دور البريئة وبقيت أنا قدام الناس الصاحبة الشريفة المفترية، والناس ما بتصدق يسمعون حاجة ويمسكوا فيها يرُدُّوها من غير حتى ما يتأكدوا من صحتها.

أنهت سلمى وديبا كلامهما وذهبتا للجلوس مع عليّ وعمرو، ثم تناولوا العشاء معًا وسط الضحك والكلام، لقد تعمدت سلمى أن تفعل ما بوسعها كي ترى ضحكة صديقتها بعد كل تلك الدموع التي ذرفت عيناها، وقد نجحت في ذلك ورسمت خلال ساعات قليلة الضحكة على وجه صديقتها، وانصرفت سلمى وخطيبها.

ظلت سلمى تفكر فيما حدث مع صديقتها، يصاحبها ذلك الألم المتكرر في جسدها والذي صار يتكرر معها في الآونة الأخيرة كثيراً ولا تدرك سببه.. لكنها تخفيه خلف قناع من التحمل.. هناك ما هو أهم ويشغلها، كانت لا تستوعب كم الخيانة والشر الموجود في نفوس بعض البشر، وتذكرت المقولة التي تقول: إن أعداء أعدائك هم أصدقاؤك، فقد نجحت نرmin في كسب الكثير حولها، واستطاعت أن تجتمع حولها كل من تعرف أنهم شديداً الحقد على دينا حتى يساندوها في ظلمها..

جلست سلمى على مكتبها، وأحضرت ورقةً وقلماً، وبدأت أول مقال لها تاركة يدها تكتب ما تشعر به:

"أحياناً تجد بعض الأشخاص يحاولون أن يشعروا أنك تخطئ، أو حتى يكذبوا على أنفسهم بذلك لعلمهم أنك أكثر منهم نجاحاً وتميزاً..

فمهما كان الإنسان شخصاً جيداً سيجد من يحاول إقناع نفسه أنه أسوأ شخص في الحياة محاولة منه في إخفاء ما بداخلهم من نقصٍ وحقْدٍ وغل..

فذلك النوع من البشر يفرحون عندما يعلمون خطأ ما اقترفه أحد الأشخاص، فيجمعون كل قواهم للفتك بصاحب الخطأ ويحاولون جاهدين الإثبات للآخرين أنهم أحسن منه خلقاً.. على الرغم من أنهم أكثر الناس معرفة بحقيقة المخطئ وحقيقتهم..

وعلى الجانب الآخر فهناك من الأشخاص التي ظلمت من لا تسمح له ذاكرته بالنسيان.. فلكل إنسان طاقة من الممكن أن تنفذ، ليس معنى عدم

قدرته علي التسامح أنه شخص سيء، وليس معنى أنه يتمنى رجوع حقه ممن ظلمه أنه ذو طبع قاس وقلب أسود، هو إنسان، نفس بشرية غير مثالية وله كل الحق أن يوكل ربه ليُعيد إليه حقه، له كل الحق ألا يسامح ..

فأرجوك يا من ظلمت، لا ترهق نفسك، فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها.
فهناك أخطاء لا صفح فيها ولا غفران، هناك جروح لا تُداوى سوى برؤيتك عقاب الله لمن تسبب لك فيها، هناك طعنات تُؤلم وتكسر ولا نستطيع أن نمنع أنفسنا بعدها من قول "حسيبي الله"، لكن تذكر دوماً يا عزيزي، أن عليك أن تجاهد نفسك ولا تسمح للكراهية أن تتسلل الى قلبك، ولا تسمح لنفسك أن تفكر يوماً في الانتقام.. لكن لا ترهق نفسك، ولا تجاهد عدم قدرتك علي الغفران".

استمرت الضغوط من الأهل على دينا للتنازل عن المحضر، ووصل إلى والديها اللذين جلسا معها جلسات مطولة يحاولان إقناعها بأن أخلاقها وتربيتها لا تسمحان لها بفعل ذلك، وأن عليها ألا تقابل الإساءة بالإساءة. فيكفيها أن تتعد عنها وسيأتي اليوم الذي تعرف فيه نرmin أنها خسرت كثيراً بخسارتها لصديقة كانت تحبها كثيراً وتعاملها بصدق وحب ..

وبالفعل تنازلت دينا عن المحضر مُحاولَةً نسيان ما حدث، ونسيان أنها كانت لديها صديقة تُدعى نرmin في يوم من الأيام.

"مش ده سيف يا سلمى؟"

قالها عليّ لسلمى أثناء عودتها من درس قرآن بعدما شاهد عليّ أخاها سيف وهو يمسك بيد شهد في الشارع ويجريان ويضحكان، فأوقف السيارة فجأة.

فابتسمت سلمى في براءة قائلة:

- أيوه هو، ربنا يسعدهم يارب.

رمقها على بنظرة ملؤها الغضب:

- يسعدهم إيه، ويسعدهم ازاي وهما بيعصوه، ده أنا اللي اسمي خطيبك ما اقدرش أمسك إيدك كده، إيه الفُجر والوقاحة دي!

صمتت سلمى أمام كلام خطيبها الذي انهار عليها كالصاعقة، ثم حاولت تمالك نفسها وقالت:

- فيه إيه يا علي، حتى لو ده غلط ليه بتتكلم عن سيف كدة، ممكن تدعيه بالهداية بدل أسلوبك ده وتجريحك فيه!

- بلا تجريح بلا زفت، دي قلة أدب وعلمي، وياريتة مكسوف من نفسه، ده ماشي في الشارع فرحان بالمعصية.

سكتت سلمى، لم تر أن هناك داعيا للنقاش أكثر من ذلك، وصل عليّ وسلمى إلى البيت، ودخلا يتناولان الغداء باتفاق مسبق. بعد ساعة حضر

سيف في قمة السعادة، وألقي عليهم السلام لكن كان رد عليّ باردًا للغاية مما أربك سلمى جدًّا..

- بعد إذنكم يادوبك ألق أصليّ العصر.

استأذنهم سيف لصلاة العصر.

فضحك علي بسخرية قاتلا:

- تصلي، هو انت بتصلي؟!!

ردّ سيف:

أيوه طبعًا الحمد لله! ايه الغريب في كدة؟!!

فقاطعته سلمى قاتلة:

- ولا حاجة يا حبيبي! ده علي بيهزر معاك.

نظر عليّ باستهزاء مما أثار حفيظة سيف قاتلاً:

- مالك يا عليّ، من أول ما جيت وانت مش طايقني!

- انا شفتك انت وشهد على فكرة!

فقال سيف:

- اه وبعدين!!

فقال علي:

- إيه اللي وبعدين! شوفتك وانت ماسك إيديها وعاشين في قصة حب

غريبة.

- غريبة ليه! عمرك ما شوفت اتنين بيحبوا بعض؟! -

- ده ما اسموش حب يا سيف باشا، ده اسمه عدم احترام، اسمه قلة دين و....."

قاطعته سلمى وهي تصيح:

- علي! أرجوك عيب أووي كلامك ده متنساش إنك بتكلم أخويا.

فنظر سيف إليه في غضب قائلاً:

- أنا مش هارد عليك احترامًا لوجود سلمى أختي، ولأنك في بيتي.
وانصرف سيف خارج المنزل وأغلق الباب خلفه بشدة.

لم تقو سلمى على إخفاء غضبها مما أدى إلى انصراف خطيبها هو الآخر..
سلمى ترى أن عليًا أهان سيف، وليس له أي حق في ذلك؛ فكل إنسان له الحرية في تصرفاته وليس من حق أحد أن يحكم عليه أو على دينه، وبعد كثير من المشاكل بشأن ذلك الأمر اعتذر عليّ لهما. ولكن الاعتذار وحده لم يكن كافيًا لنسيان ما قاله لهما، وزاد التوتر إلى أن وصل ذروته عندما مرضت جارة لسلمى تُدعى أمنية، و اقترحت صديقة لهما أن يقسموا جميعًا أجزاء القرآن ويختموه بنية الشفاء لأمنية، وطلبت سلمى من علي مشاركتهم تلك الختمة وكان رده:

- يعني إيه خاتمة عشان ربنا يشفيها، إيه الفتني ده، مفيش حاجه اسمها كدة، لو انتوا عايزين تعملوا كدة فكثر خيركم وأديكم هتاخذوا ثواب

عشان خليتوا ناس من أمثال أمنية يمسكوا مصحف، إنها أنا حد فاهم ومش هاشترك في الخاتمة دي.

استغربت سلمى من رد على وقالت:

- أمثال أمنية!!

فقال علي: "أيوة، واحدة مش محجة وبتلبسلك جينزات ضيقة وياعالم أصلاً بتصلي ولا لا، شكلها ولا بتركعها أصلاً.

قاطعته سلمى قائلة:

- على فكرة يا عليّ، أمنية بتصلي ومواظبة على قراءة القرآن، وقريبة من ربنا جدًّا.

- انتي بتدافعي عن واحدة فاسقة مش محجة!!

توقفت سلمى عن المناقشة والتزمت الصمت غير مستوعبة كلام خطيبتها. من هو ليحكم على شخص آخر إن كان متدينًا أم لا، وكيف يحكم على إنسانة لا يعرفها بذلك الشكل لمجرد أنها غير محجة، وكيف يحكم على أخيها أنه بعيد عن الله لمجرد أنه رأى موقفًا لم يعجبّه منه.

إلى متى سيظل هناك من يحاسب الناس على علاقتهم بالله، إلى متى سيظل هناك من يحكم على الشخص بمظهره الخارجي، ومن نحن حتى نحكم على شخص آخر، نحن من وإلى التراب ولا يحق لنا أن نتدخل بعلاقة أي عبد بربه..

بدأت سلمى ترى ما لم تره من قبل، بدأت تشعر أن علياً له آراء متطرفة كثيرة، وهذا لا يناسب وسطية ديننا، ولاحظت ذلك في مواقف كثيرة مما جعلها تعيد التفكير في تلك العلاقة وهل عليّ هو الشخص المناسب لكي تقضي الباقي من عمرها بجانبه؟

سأت علاقة سيف بشهد دون أي سبب واضح، وقررت شهد أن تبتعد عنه وقالت له إنه أصبح من المستحيل أن يستمرّ معاً، وأن هناك أشخاصاً كثيرين يتقدمون لخطبتها ووالدتها أصبحت صعبة التفاهم، وطلبت شهد مقابلة سيف للمرة الأخيرة..

تقابلا في مكانها المعتاد وكان سيف مرتبكاً جداً وخائفاً مما ستقوله شهد فقالت شهد:

- سيف انا فعلاً بحبك، بس أمي ملهاش غيري أنا وأختي وأنا خايفه جداً عليها وهي بقيت رافضه علاقتنا نهائياً.

فقال سيف:

- فيه حد تانى يا شهد؟!

قالت شهد:

- إيه اللي انت بتقوله ده، هو ده رأيك فيا؟!

قال سيف:

- أنا مش قصدي... بس مستغرب موقفك، ومستغرب إنك هتبعيني بالسهولة دي، ليه مش عايزة تستحملي شوية لحد ما اتخرج واقنع مامتك بيًا، ليه بتستسلمي من أول الطريق؟!

قالت شهد:

- أنا مش باستسلم... بس أنا لازم أريح أُمي.

انسحبت شهد وظل سيف مكانه، لم يحاول أن يُنادي عليها، لم يحاول أن يُكمل كلامه معها، وظل صامتًا مذهولًا كيف يمكن لقصة الحب التي استمرت سبع سنوات أن تنتهي بهذه السهولة..؟
أما سلمى فطلبت من علي أن يبتعد قليلا حتى يستطيع كلُّ منهما أن يحدد موقفه من تلك العلاقة، وأن من الأفضل ألا يحاول أحدهما الاتصال بالآخر إلى أن يصلا إلى القرار المناسب..

ومن يعيش الحياة يظلُّ يفتقدُ..

فجأة توفي والد سلمى .. هكذا .. ودون أية مقدمات.

كان يصلي الفجر، وبعد أن ختم الصلاة ودخل لغرفته لينام، ارتقت روحه إلى دار الحق، كانت الصدمة شديدة عليها، فوالدهما لم يشكَّ يوماً

من مرض ما، ولم يكن هناك أي تمهيد لوفاته، ولم يتوقعا يوماً أنه سيفارقهما. موت الفجأة وجعٌ لم يُحسب له حساب، في لحظة واحدة يدخل إلى الجسم نفس ولا يخرج مرة ثانية..

جاء عليّ لتقديم العزاء وشعرت سلمى أنه مثل أي شخص أتى ليُعزيها في والدها، لم يكن بجانبها كما كانت تتوقع، لم يخفف من آلامها بنظرة أو كلمة كما هو مفترض في ذلك الموقف. شعرت أنه حتى في أصعب موقف في حياتها بعيد عنها كل البعد. فالفتاة عندما يتوفى أبيها تشعر بغربة، هي لا تفقد شخصاً فحسب؛ بل تفقد الأمان، تفقد السند، تفقد الوطن، تفقد الحظن الدافئ أيام البرد الشديد، تفقد طعم الحياة، وتظل طيلة حياتها تبحث عن ذلك الأمان الذي حرمتها الدنيا منه..

أما سيف فانتظر كثيراً أن تأتي شهد العزاء وتكون بجانبه، ففي مثل ذلك الموقف يتناسى الأهل والأصحاب والأحباب أي خلاف ويكونون بجانب بعضهم، ولكنه تفاجأ بشهد تكتفي بإرسال رسالة مواساة له ورسالة أخرى لسلمى..

فسخت سلمى الخطبة نهائياً بعد انتهاء مراسم العزاء عندما طلب عليّ مقابلتها ظناً منها أنه يحاول تصحيح ما فعله ولكنها تفاجأت به يقول:

- يا سلمى! انا مش هفضل مستني كده كتير، بقالنا أكثر من شهر ونص مش عارف انتي ناويه على إيه، يا ااريت لو ناوية تكلمي تقولي ولو مش ناويه تقولي برضه عشان فيه واحدة تانية ألحق أتقدملها.

قالت سلمى:

- مش فاهمة قصدك إيه! يعنى لو أنا مش هكمل في واحدة في دماغك تكمل معاها؟

- أيوة بس أنا باقي عليكى لآخر وقت.

انفضت سلمى من مكانها وحملت حقيبتها قائلة:

- لا ما تبقاش علياً يا سيدي، مش أنا اللي يتقالي فيه واحدة تانية، مادام جيه في دماغك بس إنك عادي ترتبط بغيري ومعدكش مشكلة حد ياخذ مكاني يبقى انت ما تلزمينش أصلاً.

أخذت سلمى إجازة طويلة من عملها لتكون بحانب أمها في تلك الأيام العصبية، أما سيف فبعد أسبوع من وفاة والده شعر أنه بحاجة إلى حبيبته، التي كانت دائماً بجانبه مرتبطين طيلة سنوات سبعة، وبرغم كل ما حدث منها قرر الذهاب لها.. كان يتوقع عند ذهابه إليها أنها ستجري إليه كالطفلة وترتمي في أحضانه وتبكي وتشرح له، لماذا لم تهتم بأن تكون معه في تلك الفترة؟ وعند وصوله أسفل منزلها أرسل إليها رسالة طلب منها النزول وأبلغها أنه ينتظرها أسفل المنزل كما اعتاد دومًا..

بعد أقل من خمس دقائق نزلت هي وأختها وأمها وشخص آخر غريب لم يره من قبل، فذهب في اتجاههم ونظرت الأم إليه من أعلى إلى أسفل قائلة له:

- إنت مين؟!!

فابتسم ابتسامة سخرية من شدّة سخافة الموقف وقال لها:

- أنا سيف!

كان من الممكن أن يجرح شهد وأمها ويحرجها أمام ذلك الغريب، كان من الممكن أن يضع يده في جيبه ليخرج الهاتف الخاص به، ويفتح ألبوم الصور وسجل المكالمات، ويقول أنا سيف الذي يمسك بيد ابنتك في أكثر من ألف صورة، أنا سيف الذي تتصل به ابنتك في اليوم أكثر من عشر مرات، أنا سيف الذي تقضي معه ابنتك نصف يومها.. ولكن أخلاقه منعتة من أن يفعل ذلك، أو أن يضع الأم وابنتها في ذلك الموقف أمام الشخص الغريب.

انسحب سيف وقد امتلأت مقلته بالدموع.. لكنه أبى عليهم معانقة خديه، واستقل سيارته وهو لا يصدق ما قد حدث، لماذا صممت شهد أمام أفعال والدتها المريبة؟ لماذا أنكرت الأم معرفتها به كلياً؟، ومن ذلك الغريب؟ والأهم.. لم يهتز لشهد طرف؟..

أسئلة كثيرة لا يوجد لها إجابة شافية سوى أن هنالك أشخاصاً بالفعل معدومي الأصل، ومعدومي الإحساس بالغير، ناكرين لكل شيء جميل مهما حاولوا التظاهر بأنهم أشخاص رائعون، أو لهم من الطيبة نصيب، ومثل هؤلاء الأشخاص لا يستحقون أن نفكر فيهم، كل ما يستحقونه هو أن نحمد الله الذي عافانا منهم ومما هم فيه..

فقدان شخص غالٍ على قلوبنا أمر في غاية الصعوبة والألم على المقرين من ذلك الشخص ومن الممكن أن يصيبهم باضطرابات نفسية كبيرة تغير حياتهم. ورغم أن الموت هو الحقيقة الوحيدة المطلقة في هذه الحياة، ورغم معرفتنا أن هذه هي الحياة، نسير فيها ولا نعلم متى يسترد الله وديعته؟ ورغم أننا على يقين بأن كل نفس ذائقة الموت، والموت هو المصير الذي نسير إليه جميعاً مهما طالَّت الأيام وامتدَّ العمر، إلا أن مشاعر الحزن والوجع تصل إلى أبعد سماء. لا نتخيل كيف لنا أن نعيش من دون من نحب، لا نقو على استيعاب ما يحدث حولنا من تغيرات، لا نستطع فهم كيف يمكن أن تستمر الحياة بدون أن يشاركنا فيها من نحب. ومن الطبيعي أنه بعد وفاة أي شخص عزيز علينا أن نتأثر بذلك أيضاً من الناحية الدينية، وتسيطر علينا عظة الموت خصوصاً إن كان موتاً مفاجئاً كما حدث لوالد سلمى وسيف. ونحاول التقرب إلى الله أكثر ونحاول الاستعداد للموت الذي نوقن بأنه كثيراً ما يأتي دون سابق إنذار. ولكن لم يحدث ذلك مع سلمى، فصدمتها في خطوبتها وفي خطيبها أثراً فيها سلِّباً. بدأت تشعر أن المظهر الديني لا أهمية له أمام ما بداخل الإنسان. فقررت خلع الحجاب. لا أحد يُنكر أن هناك مئات المحجبات اللاتي يقمن بكثير من التصرفات السيئة التي لا تُرضي الله، وأيضاً هناك الآلاف من غير المحجبات يفعلن الخير وتؤدين الصلوات والسنن ومعظم ما يخص أمور الدين على أكمل وجه ويصبحن عند الله في مرتبة عالية جداً، ولكن كل هذا لا يصح أن ينتقص من قيمة الحجاب أو أهميته، فالحجاب فرض مهما كانت تصرفات من يرتدونه..

بدأت رحلتها مع الوصول لحلمها، الذي كان الحجاب أكبر عائق أمامه. فهناك الكثير من القنوات الفضائية لا تقبل به، وبدأت تبحث وتقدم في وظائف كثيرة في التلفزيون المصري والقنوات الخاصة ولكن بلا فائدة..

في تلك الفترة استمرت في عملها في الشركة السياحة، واجتهد سيف في دراسته أكثر، وحملت ديبا في طفلها الأول..

وبعد سنة من بحث سلمى عن قناة مناسبة، تم قبولها في قناة فضائية جديدة تبحث عن مذيوعات جدد وتقدمت سلمى لها، وأثناء التدريبات في القناة، تعرفت إلى مخرج البرنامج الذي ستقوم بتقديمه، وارتاح كل منهما للآخر ونشأت بينهما علاقة عاطفية..

تنازلت سلمى عن الكثير من مبادئها لتحصل على تلك الوظيفة؛ فأول موقف لها في القناة وهي جالسة مع المخرج والمعد ومنتج البرنامج وهم يدخلون بشراة، عرض عليها المنتج سيجارة وعندما رفضت قال لها:

- خدي يا بنتي، مالك دي سيجارة، هو أنا بشريك بانجو!

فضحك الجميع وشعرت سلمى بالإحراج؛ فأخذتها وكانت أول سيجارة لها رغم أنها كانت من أكثر الناس الكارهين لشرب السجائر، أصبحت تسمح أن يوصلها أي منهم إلى بيتها بعد منتصف الليل وهذا كان عكس مبادئه. تغيرت سلمى كثيرًا حتى توأكب الوسط الذي اختارت أن تكون فيه..

هكذا بدأت قصتها مع التنازلات، فبعد أن كانت تحلم بتقديم ما هو هادف ومفيد ويقربها إلى الله، قبلت بتقديم برنامج غنائي يعرض أحدث أغاني الفيديو كليب، حاولت أمها كثيرًا تذكيرها بحلمها في تقديم المفيد ولكنها أصبحت لا تسمع سوى صوت نفسها، بدأ اسم سلمى ينتشر بين كثير من الناس، وكانت تغطي أخبار الأغاني الجديدة بنفسها هي والمخرج عاصم، فنذهب إلى حفلات الغناء وأماكن تجمعات الفنانين وسهراتهم، وتشرب البيرة ظنًا منها أن هذا هو التقدم والتحضر..

كان عاصم يحمل كأسه في أحد الحفلات متجاهلا الجميع وينظر إلى سلمى في فستانها الأسود القصير قائلاً:

- عارفة يا لومي بقالنا قد إيه مع بعض؟

ابتسمت سلمى قائلة:

- تقريبا ٥ شهور، من أسعد أيام حياتي.

فقال عاصم بعد ان أرشف من كأسه رشفة صغيرة:

- طيب مش يا لا بقى؟؟

تعجبت سلمى ماذا يقصد، وسألته عن قصده فقال:

- يعني ٥ شهور آخرهم كان بوسة، هندخل في الغويط امتي؟؟

فضحكت سلمى قائلة:

- لا يا خفيف! الغويط ده بعد الجواز إن شاء الله.

نظر إليها عاصم باستغراب قائلاً:

- جواز إيه؟؟

- جوازنا.

- ومين قال أصلاً إننا هنتجوز؟

- يعني إيه، أو مآل علاقتنا دي آخرها إيه

- آخرها إننا نفضل نحب بعض، إنما مش الجواز ..

من فرط عصبيتها وقسوة كلماته، نظرت إليه سلمى نظرة مليئة بالاحتقار. وأخذت حقيبتها و انصرفت، وظلت طول طريقها للمنزل تفكر فيما قاله عاصم وفيما لمح إليه. كانت تظن أن حبها نهايته زواج، رغم أنه لم يعرض عليها الزواج أو الخطبة، ولكنها توقعت أن ذلك بسبب قصر فترة معرفتها وأنه سيعرض عليها الأمر يوماً ما..

وصلت إلى منزلها ودخلت غرفتها وظلت تبكي كثيراً فهي بالفعل أحببت عاصم وتمتته زوجاً لها، رغم أنه عكس صفات فارس أحلامها الذي حلمت أن يكون متديناً وقريباً إلى الله، ولكن تلك الأحلام كانت أحلام سلمى المتدينة القريبة من الله. ولكنها الآن أصبحت سلمى أخرى، أصبحت تُصلي يوماً ويوماً لا، فأصبح عاصم هو المناسب لها..

نامت وهي تبكي واستيقظت ظهراً على جرس هاتفها المحمول، فأجابت لتجد صوت منتج البرنامج يصيح:

- إيه يا سلمى ده! مش قايلك الساعة ١١ تكوني هنا؟

نهضت كالمسوعة وارتدت ملابسها وأسرعت إلى الاستوديو، وإذا بها تلتقي بعاصم الذي ابتسم لها ولكنها تجاهلته.

بدأ عاصم معاملته السيئة مع سلمى، دائماً ما يشتكي من عملها ويتهمها بالإهمال والتقصير فيه، حتى أصبح عليها ضغط كبير لا تقو عليه، أدركت الأمور وأصبح كل شيء واضحاً أمام عينيها، إما أن تكون له من دون زواج أو أن تنتهي رحلتها في القناة.. قبلت سلمى التحدي، باتت لا تنام، أصبحت تُرهق نفسها كثيراً حتى تحاول أن تفعل كل ما بوسعها كي لا يجد عاصم أي شيء ليبتقدها فيه..

وبعد محاولات من عاصم في أن تستمر علاقتها، وأن تتطور إلى الحد الذي يرضيه، وبعد رفض سلمى لما يفكر فيه، فكرت سلمى في أن تترك البرنامج وتدفع الشرط الجزائي لانسحابها..

كانت في حيرة هل تترك العمل الذي طالما حلمت به حتى تكسب نفسها وكرامتها؟ أم تنازل عن مبادئها كما تنازلت عن حجابها وتُكمل في الطريق الذي رسمته لنفسها؟ وظل الصراع قائماً داخلها بين ما يريده عقلها وما يتمناه قلبها..

كان الصراع داخلها لا يحمد والنار لا تنطفئ، فمذ أن تنازلت عن حجابها وهي تحقق النجاح في عملها ولكنها تفتقر لكل الراحة النفسية وراحة البال في حياتها، كأن حجابها أخذ معه كل خير وبركة، ورحل..

فحجابها بالنسبة لها لم يكن غطاءً للشعر فحسب، حجابها نورٌ قذفه الله في قلبها، دائماً ما كانت تُحاول أن تُراقب تصرفاتها حتى لا تُسيء إلى نعمة الحجاب، يُذكرها حجابها دائماً بعقيديتها ودينها وواجباتها. شعرت سلمى أنها منذ تفریطها في حجابها فرطت في كل ما هو جميل معه..

أضحى سيف في سنته النهائية في الجامعة، لكنه في فترة امتحانات ال mid term أصيب بإرهاق شديد جداً وحال ذلك الإرهاق دون حضوره بعض الامتحانات، فأسرعت والدته بالاتصال بالدكتور فهمي؛ الدكتور في كلية طب عين شمس؛ والذي كانت تجمعه صداقة قديمة بوالد سيف رحمه الله، وطلبت منه الذهاب لكلية سيف ليوضح لهم مرض ابنها الشديد.

وأثناء وجود الدكتور فهمي بكلية سيف التقاه أحد الأساتذة بالجامعة يُدعى أحمد الليثي فذهب إليه قائلاً:

- هو حضرتك دكتور فهمي، الدكتور في كلية الطب؟

فقال دكتور فهمي:

- أيوه أنا.

فصافحه دكتور أحمد الليثي قائلاً:

- أنا أحمد الليثي أستاذ بكلية الهندسة هنا.

فقال دكتور فهمي:

- أهلاً بحضرتك! كويس إني اتعرفت بيك، أنا جاي النهاردة بخصوص سيف عمر ابن صديق ليا، سيف الفترة دى مريض جداً وده سبب عدم حضوره بعض الامتحانات، فكنت عايز أعرف الإجراءات عشان يعيد الامتحانات بعد ما ربنا يتم شفاه إن شاء الله.

فابتسم أحمد الليثي قائلاً:

- طبعاً يا فندم، ادينى نمرتك وهاتواصل مع إدارة الكلية وأبلغك.

شكره دكتور فهمي للمساعدة وانصرف، وظل دكتور أحمد الليثي مكانه مبتسماً ابتسامة غير مفهومة..

في أحد الأيام .. وأثناء جلوس سلمى في أحد الكافيهات لاحتساء قهوتها إذا بسيدة منتقبة تمر في الشارع أمام الكافيه وتنظر لها من خلف الزجاج، استغربت سلمى من هذه السيدة المنتقبة ولماذا تقف أمامها هكذا؟ ولكن سرعان ما انتهت الحيرة عندما أسرعَت السيدة بالدخول إلى الكافيه قائلة لسلمى:

- انتى سلمى عمر؟

فقالت سلمى:

- أيوه أنا! أهلاً بحضرتك.

ظنت سلمى أنها واحدة من مشاهدي البرنامج، فإذا بالسيدة تجلس على الكرسي المقابل لسلمى قائلة:

- مش قادرة أصدق!

تعجبت سلمى من النبرة التي خرجت من تلك السيدة في كلامها فقالت سلمى:

- هو في ايه، حضرتك مش قادرة تصدقي إيه؟

نظرت السيدة حولها، وعندما لم تجد رجلاً فحركت الكرسي الذي تجلس عليه حتى أصبح وجهها للحائط رافعة النقاب من عليه، نظرت إليها سلمى بتعجب ودهشة قائلة:

- خديجة!..

إنها خديجة صديقتها من أيام الدراسة، مر من العمر حوالي عشر سنوات، لم تلتقيا، فلقد تزوجت خديجة في السنة النهائية من الجامعة وانتقلت لتعيش مع زوجها في مدينته المنصورة. لم تكن سلمى تعرف أن خديجة ارتدت النقاب، وفي نفس الوقت لم تكن خديجة على علم بأن سلمى خلعت الحجاب وعملت بالإعلام، فخديجة ممن يرون أن التلفزيون من المحرمات فلم تشاهد سلمى بعد أن أصبحت مذيعة.. وبعد أن استعادا سويا أيام المدرسة والجامعة، سألتها سلمى عن أخبارها؟ فأجابت خديجة:

- محصلش نصيب انى أكمل مع زوجى اكثر من كده، فرجعت من المنصوره أنا والاولاد من شهرين وحاليا قاعده مع أمى فى بيتها فى عباس العقاد.

- ماشاء الله انتى عندك أولاد؟

- الحمدلله، معايا حمزة، وعمرو، وبلال.

- ماشاء الله، ربنا يخليهملك.

وبعد أن تحدثنا قليلا عرفت خديجة من سلمى عن عملها الجديد فى الإعلام قالت خديجة:

- انتى ازاي وصلتي لكده يا سلمى؟ تقلعي الحجاب، تسيبي فرض ربنا عشان خاطر شغل، ده ربنا اللى بيرزق يا شيخه وبيعطي، ده بدل ما تستعيني بيه وتقيري منه عشان يرزقك تحقيق حلمك اللى أصلاً حرام.

قاطعتها سلمى قائلة:

- ليه حرام، شغلي كمذبة مش حرام، هو أنا رقاصة؟

فقال لها خديجة:

- مش هاتناقش معاكى فى المهنة دي بالذات، بس اسألني نفسك، وانتي حاطة ميك أب أوفر كدة وسايبة شعرك وكاشفاه ولابسة اللبس البشع ده، كام واحد اتفتن بيكي من شاشة التلفزيون، كام واحد بص عليكى وعلى عينك وشعرك وجسمك، انتى ازاي مُغبية كدة، مش دي سلمى اللى أنا أعرفها، سلمى اللى كانت بتحاول ترضي ربنا وتقرب منه، سلمى اللى التزمت زمان بحجابها وبأخلاقها وحاولت تحسن من نفسها، انتى إيه اللى جراك؟

أجابت سلمى بعصبية:

- فيه إيه يا خديجة! انتي ليه محسساني إني بقيت شيطانة، ما نُص بنات مصر مش مُحجيين ويلبسوا زي ما انا لابسة، أنا ما أجرمتش، كمان أنا مالي مين هيفتن بيّا أنا واحدة بأدي عملي وبس، وماليش دعوة بتفكير الناس المريضة.

قالت لها خديجة:

- نص بنات مصر بيراعوا ربنا... انتي تبقي زيهم؟ شاطرة تصدقي أقنعيني.

غضبت سلمى كثيرًا وطلبت منها الانصراف لأنها لم تقوَ على تحمُّل كلامها أكثر من ذلك، فسمحت لها خديجة، وأمسكت بموبايل سلمى الملقى على الطاولة وسجّلت فيه رقم هاتفها قائلة:

- أنا سجّلت لك نمركي يا سلمى... لازم نكمل كلامنا.

أجابت سلمى وهي مُنصرفه انزعاجًا منها ورغبة في التخلص من حديثها:
- إن شاء الله.

غادرت سلمى الكافية في أوج غضبها؛ فخدجة متعصبة لرأيها، وهذا ما تكرهه سلمى في أيّ شخص يدعو للدين أو أي شيء آخر. انصرفت سلمى تردد في عصبية واستياء:

- وكم ان فاكرة إني ممكن أتصل بيها، يارب ما اشوفش وشّها تاني.

" كفاية يا عاصم!! إنت عايز مني إيه؟! "

رفضت سلمى لقاء عاصم بعدما ألحَّ عليها في الاتصال مرارًا وتكرارًا، وأغلقت الهاتف في وجهه، انفعل عاصم من تلك الإهانة وأرسل إليها رسالة قائلاً:

- يا أنا يا إنتي يا سلمى في القناة، إما ورّيتك مابقاش أنا عاصم الشريف!

هكذا بات الأمر بينهم مشتعلًا .. وهكذا .. عند هذا الحد .. أحست سلمى أن حيرتها على وشك الانتهاء ولا مفرَّ من تركها للبرنامج والقناة ..

في البيت، عرضت عليها والدتها الذهاب معها لحضور درس إسلامي في المسجد ورحبت سلمى، فمنذ فترة طويلة لم تحضر أي ندوات أو دروس دينية، انطلقا صوب الدرس الذي تحدث الشيخ فيه عن جملة "من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه": فقال الشيخ في درسه:

- ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [يوسف: ٣٣: ٣٤].

ثم أتبع الآية بقوله:

- وتفسير الآية يا أحبّتي، أنه عندما ترك سيدنا يوسف عليه السلام امرأة العزيز لله واختار السجن على الفاحشة، فعوّضه الله، أن مكّنه في الأرض

يتبوأ منها حيث يشاء، فتأمل كيف جزاه الله سبحانه وتعالى على ضيق السجن، وأذلّ له العزيز وامرأته، وأقرّت النسوة ببراءته، وهذه سُنّة تعالى في عباده قديماً وحديثاً إلى يوم القيامة، أن من يترك شيئاً ابتغاء وجه الله تعالى عوضه الله خيراً منه.

بكت سلمى وهي تسمع كلام الشيخ، بكت عندما تأملت حالها، بكت وهي لا تصدق ما فعلته بنفسها بعد أن كانت ملتزمة بحجابها وتركته بسبب تجربة فاشلة مرت بها علّمتها أن المظاهر ليست كل شيء، كما أن خلع حجابها جر وراءه الكثير. فأصبحت لا ترتدي الملابس المحتشمة، وأصبحت تشرب السجائر، وأصبحت أيضاً في الحفلات تشرب المنكرات.

كان جسدها يرتجف وتتمنى أن توقف دمعاتها، من خلف ستار الدموع تنظر إلى وجه أمها التي علمت ما يدور في عقل ابنتها وسعدت بأنها بدأت تفيق مما هي فيه. وأثناء بكائها إذا بيدٍ تعطى لها منديلاً لتمسح دموعها، أخذت سلمى المنديل وبدأت تشكر من أعطاه إياه وإذا بها خديجة. أراد الله أن تحضر معها نفس الدرس وأراد الله أن تجمعهم الصدفة للمرة الثانية، فاحتضنت سلمى خديجة وظلت تبكي كثيراً وهي تستغفر الله..

انتهى الدرس، وعادت سلمى بصحبة أمها إلى المنزل، وظلت تفكر بتلك الصدفة التي جمعتها بخديجة، الصدفة لم تكن بسبب رجوع خديجة للإقامة في حي مدينة نصر من جديد فحسب، ولكن هناك العديد من الرسائل التي يرسلها الله لنا خلال حياتنا، وكل رسالة تكون في وقتها المناسب، ولكن

الفرق بين شخص وآخر هو أن هناك من يهتم بفهمها وتكون له عظة وعبرة، وهناك من يمضي دون النظر إليها ولا الاعتبار منها. فوالدة سلمى لم تكن تعرف موضوع الدرس لتحضر ابنتها، ولكن الله أراد لسلمى الحضور وأراد لها أن تسمع هذه الخطبة، وأراد لها أن تبكي وتشعر بما اقترفته من ذنب لتعود إليه مرة ثانية.. وبعد عودتها للمنزل دونت ما تشعر به كعادتها :

"كم أنت رحيم يا الله، كم نخطئ في حقك وتقبلنا عندما نأتيك تائبين..
حقاً كلنا مخطئون.. مقصرون.. مذنبون.. عاصون لله.. نُقبل على الله تارة، وتارة نُدبر ونولي ظهورنا، لكن الله سبحانه وتعالى يفرح بتوبة العاصي كرمًا منه وإحسانًا علينا نحن بني البشر الضعفاء".

اتصلت سلمى بمسؤول القناة وطلبت منه الراحة يومين بعذر الإجهاد، ووافق على تلك الإجازة القصيرة. كان عليها ترتيب ما بداخلها، لم يكن الإجهاد هو مانعها من العمل.. ولا ذلك الوجد المتكرر الذي زادت وطأته عليها.. كانت فقط في حاجة لفترة صفاء مع النفس لتعرف ماذا عساها أن تفعل؟.. شعرت كم قصرت في حق خالقها، شعرت بجرمها عندما عصت الخالق في سبيل تحقيق أحلامها.. لا تعرف لماذا كانت صورة خديجة صديقتها المنتقبة هي أول ما تبادر إلى ذهنها في هذه اللحظة..؟

شعرت أنها بحاجة ماسة لها.. فاتصلت بها وطلبت منها الحضور قائلة:
- خديجة هو ممكن تجيلي، انا بجد محتجالك جدًّا!

حضرت لها خديجة بعد أقل من ساعة، وبعد تناولهما الشاي بدأ الحديث،
قالت سلمى:

- أنا اخترتك انتي أتكلم معاكِ عشان عارفة إنك قريبة من ربنا، بصرف
النظر إنك بعض الأحيان بتكوني أوفر شويه في أسلوبك، بس حسيت إنك
ممكن تنصحيني وتسمعيني بقلبك.

- أوفر شوية؟ ماشي يا ستي هعديالك، أنا سمعاكي يا سلمى!

اعتدلت سلمى في جلستها قائلة:

- بصي يا خوخة، أنا عارفة إن أنا غلطت، وعارفة إني عصيت ربنا، لكن
أنا ماقلعتش الحجاب عشان خاطر التلفزيون، آه مش هانكر أن السبب ده
كان من ضمن الأسباب لكن مش الأساسي.

- أمال ليه يا سلمى عملتي كدة؟! رغم إنك كنتي مقتنعة بفرض الحجاب
لما لبستيه!!

- أنا لحد دلوقتي مقتنعة، بس أنا كنت مُشوّشة، أنا التخطبت فترة لشخص
مُتدين، وكان بيعيني على الطاعة وأعمال الخير، لكن مع التعامل والوقت
اكتشفت إنه فيه صفات وحشة جدًّا على عكس مظهره المتدين ده، حسيت
إني تايهة، وإن الدين مش حجاب ودقن، يعني أنا عندي أكون مش محجبة
وكويسة في تعاملني مع الناس ولا إني أكون محجبة ومش كويسة؟

ردت خديجة ضاحكة:

- وإيه المانع تكوني الاتنين، تكوني إنسانة ملتزمة ومحجبة وبرضه كويسة
وبتتعاملني حلو مع الناس وبتسعي إنك تحققي أحلامك؟

- انتي عندك حق! بس أنا كان تفكيرى مشوش جدًّا، وبعديها قولت
فرصة عشان تكون فرصتي أحسن في تحقيق الحلم اللي طول حياتي باحلم
بيه.

أجابت خديجة:

- وحققتيه؟

قالت سلمى متسرفة:

- طبعًا، أنا حطيت رجلي على أول الحلم، أنا دلوقتي الناس بتعرفني في
الشارع رغم إني في قناة صغيرة بس اسمي اتعرف نوعًا ما.

- بس ده مكنش حلمك! انتي كان حلمك تقدمي برنامج ديني أو
اجتماعي يفيد الناس والمجتمع ويرضى ربنا عنك، مش برنامج أغاني ورقص
وكليات، وإن الناس تعرفك في الشارع.

صممت سلمى تفكر في كلام صديقتها ثم أردفت:

- أيًا كان يا خديجة! أنا مرّيت بظروف في القناة دي ولازم أسيبها، وعازية
ألبس الحجاب تاني، بس المشكلة إن فيه شرط جزائي في عقدي مع القناة،

والمبلغ كبير جداً، لو دفعته يبقى هادفع كل الفلوس الى معايا وأخذ من ماما
كمان.

- زى ما الشيخ قال بالظبط يا سلمى، من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً
منه، مش مهم المال، مش مهم البرنامج، مش مهم حتى حلمك عشان فيه
حلم أهم وأقوى.

استغربت سلمى قائلة:

- حلم إيه؟؟

أجابت خديجة بابتسامة:

- الجنة!

ارتاحت سلمى كثيراً بعد كلامها مع خديجة، فهي الآن بحاجة إلى من
يأخذ بيدها إلى الطريق الصحيحة، وخديجة هي الأنسب لذلك، قررت
سلمى دفع الشرط الجزائي وتركت العمل في القناة نهائياً، وقررت أيضاً
ارتداء الحجاب مرة أخرى. حاولت والدتها إقناعها بأن تفكر جيداً في الأمر
حتى لا يأتي اليوم الذي تنازل فيه عن حجابها كما فعلت في السابق. ولكنها
لم تستجب وارتدت الحجاب في نفس اليوم الذي تركت فيه عملها..

اتصل الدكتور فهمي بوالدة سيف وكان صوته مليئاً بالحزن، توجست
من صوته قائلة:

- فيه ايه يادكتور فهمي!؟

فقال دكتور فهمي:

- مش عارف أقول لحضرتك إيه والله، أنا رحيت الكلية عند سيف وبلغت فعلا بتعبه ومعظم الدكاترة تفهموا الموقف وهيعيدوا الامتحان.

- طيب جميل جدًا، فين المشكلة؟

قال دكتور فهمي:

- المشكلة في دكتور اسمه أحمد الليثي دكتور إدارة المشروعات، للأسف لقيته جايلي الكلية النهاردة الصبح، وقالي إنه ابنه عندي في القسم وبقاله ٣ سنين مش بينجح في المادة بتاعتي، وطلب مني إني أنجّحه في مقابل إنه مايحطش سيف في دماغه.

قالت الوالدة:

- يحطه في دماغه ازاي، سيف أصلا شاطر في دراسته ومش محتاج مساعدة ولا غيره.

فقال الدكتور:

- أنا فاهم ده كويس، بس نبرة الليثي مكنتش مريحاني، وبعد ما رفضت كلامه وعرفته إني مستحيل أنجح أي شخص ما يستاهلش إنه ينجح لقيت في عينه نظرة تحدي مخوفاني.

انتهت والدة سيف المكاملة وهي في شدة القلق، فسيف أصبح في السنة النهائية وأمامه شهور فقط ليتخرج، خافت مما سيفعله الليثي، ولا تعلم هل كلامه مع دكتور فهمي تهديد أم أنه مجرد كلام في وقت غضب؟؟

تكررت لقاءات سلمى وخديجة، تلك التي أزعجت والدة سلمى قليلاً، فخديجة إنسانة محترمة ومتدينة، لكن والدة سلمى ترى أنها متطرفة في بعض الآراء، وسلمى نفسها كانت ترى ذلك من قبل، ولكنها في تلك الفترة لا ترى سوى رغبتها وحبها في أن تكون بجانب خديجة..

أصبحت يحضرن الدروس الدينية سوياً، أصبح لسلمى ورد يومي من القرآن الكريم، مسحت جميع قنوات الأغاني والأفلام، وأصبحت لا ترى سوى قناتي اقرأ والمجد..

وفي يوم من أيام جلوس سلمى مع خديجة في حلقة لتفسير القرآن، كان هناك سؤال يدور في بال سلمى وهو النقاب، فالدرس به أكثر الفتيات اللاتي يرتدين النقاب، فتناقشت في ذلك مع خديجة بعد انتهاء الدرس..

- خوخة! انا كنت عايزة أعرف خطوة النقاب جات ازاى عندك، رغم إنني ما افتكرش إن عيلتك فيها بنات منتقبة.

ضحكت خديجة قائلة:

- لازم أحاول أكون صح حتى لو كل اللي حوالياً غلط.

- غلط ليه بس! ما أصلاً النقاب فضيلة مش فرض، المهم هو انتي صحيح اتنقبتى ازاي، يعني قصدي إيه طلع الموضوع في دماغك؟؟

- بصي يا سلمى! أنا ها حكيك حكايتي مع النقاب من الأول؛ بصي يا ستي! أنا أولاً زي ما انتي عارفة من بيت ملتزم إلى حد كبير، وكنت طول عمري لبسي محافظ من ناحية إني اتربيت على كدة، ومن ناحية ثانية لإني بحب اللبس كدة أصلاً، وكانت فكرة النقاب بعيدة عني تماماً، بس كنت بشوفه كتير في المسجد وكنت بحب اللي بيلبسه، الكلام ده لحد آخر سنة في الجامعة تقريباً، بعد كدة بحكم الدروس وحلقات الذكر، بدأت أقرب أكثر من المنتقبات اللي موجودين حوالياً في المسجد أو المنطقة، وبتقابل كتير وبقيت كمان صحبتهم جدّاً رغم فارق السن لأن كلهم أكبر مني، وكان عندنا جارتنا منتقبة وماما بتوديني عندها من وأنا صغيري عشان تحفظني القرآن، كانت بتدينا درس كمان في الدين والسنة والعقيدة وكدة، وهي دي اللي كان ليها الفضل عليّ، كنت باشوف علاقتها بصحابتها المنتقبات فوووق الروعة من ضحك وحب وهزار ولعب وخروج، هي مكنتش كبيرة أوي بس باعتبارها صاحبتني ومعلمتي في نفس الوقت، المهم مرة في ميعاد الدرس لقيت البنات فرحانة جدّاً وعاملة هرج ومرج فبقولهم في إية؟ قالوا لي الحمد لله احنا عرفنا نجيب كتاب محمد العريفي "إنها ملكة"، فأنا بجهلي قلت باستنكار ماله! اشمعنى الكتاب ده انتوا فرحانين بيه ليه أو ووي كدة؟ قالوا لي انتي مجنونة دة وهم وبيتكلم عن مدى تمسك البنت بإسلامها ودينها وعقيدتها..

المهم طنط صاحبة ماما اليوم ده جت تدينا الدرس كالعادة.. فالبنات طلبوا منها إنها تشرح الكتاب أو تتكلم عنه، وعلى فكرة البنات دي كانوا منتقبات تقريبا كلهم، طلع الكتاب بالفعل روعة بجد بس أنا أخذته من ناحية النقاب وفكرته، مع أن فكرة النقاب كانت بعيدة عني، والكتاب جزء صغير أوي فيه عن النقاب، لكن الكتاب اداني بصيص من النور كدة، وقالي بصي وشوفي روعة الإحساس والكلام، ويمكن كان فتح من ربنا عليًا بالنعمة دي... فأخذت الكتاب استعارة تاني يوم ومش لحقت أقرأ منه كثير غير كام صفحة، بس هي قالتلي الفكرة مُجملة.

وبالفعل لاقيت نفسي بقول طب أنا مش لابسة النقاب ليه... وقعدت مع نفسي شوية وأخذت القرار إني ألبسه، كل ده كنت فاهمة زي بقية الناس إنه فضل أو سنة، وقلت لنفسي أنا مُطالبة بالسُّنة فليه معملهاش؟

قاطعتها سلمى قائلة:

- يعني إيه كنتي فاكرة زي بقيت الناس ما هو فعلاً فضل؟

ابتسمت خديجة قائلة:

- استني عليًا بس أكملك.

فقال سلمى:

- اتفضلي!

أكملت خديجة قصتها مع النقاب قائلة:

- كلمتها وقولتيها إني عازية ألبسه، قالتلي امشي في البداية الخطوات صح؛ إني آخذ الأول النية وأخلصها لله، واقرأ عن النقاب كثير من ناس موثوق منها، وإني أدعى ربنا إنه يعيني على الطاعة دي، بالفعل عملت كدة ودعيت في البداية أن ربنا يشرح صدري للنقاب بس كنت بعمله بنية إنه سنَّه مش أكثر، وابتديت أقرأ كتب وتفاسير للقرآن، وكانت الصاعقة إني وصلت إلى إن النقاب فرض... فرض... فرض.

ظهر على ملامح سلمى الاستغراب مما تقوله خديجة؛ فهي تعلم جيداً أن النقاب فضل وليس فرضاً!

استمرت خديجة في كلامها:

- بس يا ستي، واتكلت على الله ولبست النقاب.

قالت لها سلمى مبتسمة:

- ربنا يثبتك! ما دام نيتك رضا ربنا سبحانه وتعالى، لكن برضه يا خديجة أنا متأكدة أن النقاب مش فرض!

قاطعتها خديجة بهدوء:

- سلمى! أنا بحثت كثير جداً، وجبت تفسير الآيات القرآنية للقرطبي وابن كثير وعلماء موثوق فيهم، واتأكدت أنه فرض على البنات خصوصاً بسبب الفتن والمجتمع القذر اللى بقينا عايشين فيه، لأنه حماية وعمَّة ليها.

فهزت سلمى رأسها علامة قبولها للكلام، لكنها لم تقتنع أبداً بكلام خديجة فيما يتعلق بفرضية الحجاب.. فقالت لها سلمى:

- طيب رد فعل أهلك كان إيه! بما أن محدش خالص في عيلتك لابس النقاب؟

ضحكت خديجة قائلة:

- ماما وبابا عادي ما اعترضوش، بس أخويا بقي وشوية من قرابيي فضلوا يقولولي مش هتلاقي حد يتجوزك وهتعنسي والكلام الأهبل ده، مع إن والله العظيم يا سلمى اللي طلبوني للزواج بعد النقاب أكثر كثير من اللي طلبوني قبله، النقاب ده عفة وستر للبنات، بيحسّسها إنها ملكة بتمشي على الأرض، مش مسموح لأي مخلوق يشوف أي جزء منها ولا حتى شعرها، النقاب بيسد باب الشيطان عنك وبيريكي تربية دينية صحيحة.

قاطعتها سلمى متسائلة:

- يعني إيه، مش فاهمة؟!

- يعني فيه حاجات كثير كنت باعملها قبل النقاب مبقتش أعملها بعده، زي مثلاً السينما، أنا كنت بحب أووي أروحها وأشوف الأفلام الجديدة وكده، لكن بعد النقاب مابقتش أدخلها، الأول ماكنتش بروحها عشان باتكسف، بحس شكلي بالنقاب مش لايق إني أدخل سينيا، وبعد مرور الوقت بقيت مقتنعة أصلاً من عدم فايدتها وإنها معصية لربنا وتضييع وقت وكلام فارغ.

قاطعتها سلمى قائلة:

- لا يا خوخة! السينما مش حرام؛ يعني على حسب الفيلم اللي هتدخليه؛ لو فيلم محترم ومفهوم حاجة خارجة عليه حرام؟ دى وسيلة ترفيه وأي حاجة احنا بإيدينا تكون حرام أو لا، فلو داخله فيلم محترم وممكن تستفيدي منه حتى لو استفادة نفسية بس فطبعًا مش حرام.

فقلت خديجة:

- لا يا سلمى حرام و٦٠ حرام! لما ربنا يسألني ضيَّعت وقتي وفلوسي على إيه؟ هرد أقول إيه، ضيَّعتهم على فيلم سينما، حاجات كثير الناس فكراها عادي وهي أكبر حرام زي السينما وزى الأغاني والموسيقى اللي أصلا هي سماع أهل النار.

سكتت سلمى ولم ترد، فالصمت في بعض الأوقات هو الأسلم، خصوصًا إذا كان أحد الطرفين متمسكًا برأيه، وليس لديه أي استعداد لتقبل الرأي الآخر.. سكتت فأكملت خديجة قائلة:

- يمكن انتي مش حاسة بقيمة النقاب ومش حاسة كلامي، لكن أنا يا سلمى مقتنعة بكل كلمة قولتها، مقتنعة وسعيدة جدًا إن ربنا اختارني أنا بالذات عشان أرضيه، إن ربنا أراد ليا إني أتقرب منه وأنفذ شرعه، ربنا أراد ليا الستر، العفة، الطهارة.. إني أقفل أي باب للشيطان ممكن يدخل منه.. إني أطبق شرع ربنا حبيبي، وأمر رسولي، لبس أمهات المؤمنين، لبس أهل الجنة،

أحاسيس كثير جوايا مش عارفة أوصفها لك؛ كفاية إني أقولك إني حاسة إني ملكة فعلاً، إني جوهره غالية محدش من حقه يشوفني، أنا سعيدة إن ربنا مَنَّ علينا وتفضّل علينا بإنى أنول الطاعة دي.

ابتسمت سلمى بحب لصديقتها، فجميل أن تفعل الشيء الذي يرضيك، والشيء الذي تقتنع به مهما كان رأي من حولك، جميل أن تتمسك بما تتمناه وبما تريد أن تكون عليه دون التأثر بأية مؤثرات خارجية، احتضنت سلمى صديقتها التي ملأت الدموع عينها قائلة:

- ربنا يثبتك يا خووخة يا حبيبتى! وانتي فعلا ملكة سواء بالنقاب أو من غيره، بس برضه رغم فرحتي بيكي وبإحساسك بس لازم تعرفي إن النقاب مش فرض.

ضحكا ونظرا إلى بعضهما بحب شديد، ثم قالت خديجة وهي تمسك بيد سلمى:

- عارفة يا سلمى! أنا علاقتي بالنقاب عامله زيّ إيه، زي علاقتي بابا وماما، أنا باعشقه وبحبه، بحسه جزء مني، بحسه ابني وبتتي، ساعات باقول لنفسى هو أنا كنت عايشة قبل النقاب ازاى وكنت بمشي كدة عادي في الشارع قدام الناس من غيره ازاى، أنا نسيت قبل النقاب أنا كنت إيه .. غيرني وغير أخلاقي وحاجات تانية كانت غلط فيا اتصححت؛ بيمنعني من حاجات كثير ممكن أعملها غلط، أو أي معصية كنت كل ما أعملها أرجع بسبب النقاب، بحبه يا سلمى أووي، بسببه اتعرفت على أغلى ناس

في حياتي، وبسببه أنا دلوقتي في صحبة صالحة من غيرهم ومن غير إعانتهم ليا في البداية أنا كان ممكن ما اكملش مع النقاب، لأني أكيد وقعت في مشاكل بسببه أو بسبب جهل الناس بيه، بس ده كله كان ابتلاء عشان ربنا يشوفني هاثبت ولا أقع في الطريق، والحمد لله إلى الآن ثابتة وأسأل الله الثبات حتى ألقاه، وأتمنى من ربنا إنه يسترني من النار يوم القيامة زي ما سترني في الدنيا بالنقاب.

أنهت الصديقتان نقاشهما، وظلت سلمى سعيدة بإحساس خديجة الصادق وفعالها ما تقتنع به دون الاهتمام بأي شخص، حاولت سلمى التأكد من معلوماتها وأن النقاب فضل وليس فرضاً على عكس ما تقوله خديجة، وبالفعل اتصلت بدار الإفتاء لتعرف الحقيقة واضحة، وكانت إجابتهم أن النقاب من الأمور التي اختلف فيها أهل العلم، وأن الأمام أحمد ومذهب الشافعي يقولون إن تغطية الوجه واجبة، أما مذهب أبي حنيفة ومالك قالوا إن تغطيته غير واجبة بل مستحبة...

نفذ الدكتور أحمد الليثي تهديده بخصوص سيف، فلم يسمح بأن يعيد سيف امتحان ال Mid Term، وفي امتحان المادة الشفوي كتبه راسباً، رغم أن سيف أجاب على كل الأسئلة، كما لم يضع له درجات الحضور وأعمال السنة. وأصبح سيف مجبراً على أن يجتاز الامتحان التحريري دون أن ينقص ولو درجة واحدة؛ لكن للأسف لم يجتز سيف الإمتحان فرسب في المادة..

وأعاد الامتحان مرة أخرى في شهر نوفمبر، وأجاب جميع الأسئلة ولكن أيضاً ظهرت النتيجة بأنه راسب، وبالتالي اضطر سيف لإعادة السنة بسبب تلك المادة..

مرت ستة أشهر على نفس الحال، سلمى مُنقطعة عن عملها أو أي عمل و مُتفرغة فقط لدروس القرآن والتقرب إلى الله .. وسيف مُكتئب لما يتعرض له من ظلم بسبب أمر لا دخل له فيه، أما ديبا فقد أنجبت طفلتها، التي أسمتها أماني على اسم أختها التي فقدتها.. وظلت حياتها مع عمرو يملؤها الحب والحنان والاحترام، فقد تحديا معاً كل من حاول التفرقة بينهما حتى يعيشا معاً وكافأهما الله بابتئها الجميلة التي أضاءت حياتها وزادت من سعادتها..

حاول سيف البحث عن عمل أكثر من مرة ولكن دون جدوى، جميع الوظائف تشترط الخبرة، فكيف لشباب حديثي التخرج أن يكون لديهم خبرة، وكيف سيكون لديهم خبرة وليس هناك من يعطيهم الفرصة؟!، حتى إن وُجدت الفرصة يبدأ البحث عمّن لديه واسطة من مسؤول ما، وسيف لا يوجد لديه خبرة و لا واسطة و لا شهادة تخرج.. ظل شهوراً يبحث عن عمل دون أي فائدة، وبعد تفوق سيف خمس سنين في كلية الهندسة، كان مصيره المقهى مع الجميع، وكل ذلك بسبب شخص معدوم الضمير والأخلاق.

حاول سيف ألا يستسلم ومضى في رحلة البحث عن أي عمل حتى إن كان في مجال آخر، وفي النهاية عمل في شركة من شركات الاتصالات Call center بمرتب ضعيف، كاد يصرفه بنزيناً لسيارته، حتى إنه في بعض الأحيان يأخذ من والدته مصروفاً ليلبي احتياجاته الخاصة التي لا يسدها مرتبه الشهري..

دائماً سيف يُطمئن نفسه بأن ما يحدث ما هو الا فترة مؤقتة، وسوف يعمل في مجاله بمرتب كبير قريباً عندما ينجح في تلك المادة ويتخرج. ولكن لم يحدث أي شيء سوى أن سيف أصيب بالإحباط أكثر وأكثر عندما كان يرى معاملة الليثي له في أي يوم يذهب فيه إلى الجامعة، وأثناء جلوسه بالمقهى كالعادة مكتئباً قال له أحمد صديقه:

- روق بقي يا سيف، والله بكره تروق وتحلا.

قال سيف متألماً:

- تروق وتحلي ازاى بس، وأنا شحط كده ولسه بأخذ فلوس من أمي، المرتب يا دوبك بيكفي البنزين والسجاير.

قاطععه أحد الأصدقاء قائلاً:

- ما تفكها بقي يا عم، ما كلنا كده، هو حل من الاتنين يا نسيب البلد ونظفش يا نسرق بقي ونشتغل حراميه، إمسك يا عم امسك بلا وجع دماغ.

أعطاه صديقه سيجارة محشوة بالحشيش، ومن شدة ضيق سيف أخذها منه وأشعلها، وأصبح ذلك حال سيف العمل صباحًا، والمقهى والسجائر والحشيش ليلاً. أصبحت عائلة سلمى مفككة، فالأم مشغولة في عملها، وسلمى مشغولة بالمساجد والأعمال الخيرية، وسيف مشغول بما هو فيه.. أصبحت الأسرة المترابطة شديدة البعد عن بعضهم البعض حتى كاد كل منهم أن يضيع في طريقه، وفي يوم دخلت سلمى على أخيها لتسأله عن كتاب تبحث عنه فرأته يشرب تلك السيجارة الغريبة..

سلمى:

- إيه ده يا سيف! إنت بتشرب إيه؟!

- هاشرب إيه يعني! سيجارة، بس خلصت أهي "

قالت سلمى بصوت عالٍ: " دى مش ريحة سجائر عادية، إيه ده انت ازاي وصلت لكده يا سيف.. إزاي!!!

صاح سيف قائلاً:

- أولاً متزعقليش! ومالكيش دعوة بيا، محدش خالص يتدخل في حياتي.

استغربت سلمى طريقة أخيها المليئة بالعصبية وقالت:

- لا أتدخل ونص! أنا أختك ومن حقي إني أتدخل وأخاف عليك.

فصاح بها:

- لا مش من حقتك، إطلعي برّة.

سحب سيف أخته من ذراعها ناحية الباب بعنف وقوة حتى أخرجها وأغلق الباب بالمفتاح حتى لا تستطيع الدخول. انهارت سلمى من البكاء، اندهشت لما وصل أخوها إليه، لا تدري كيف لها أن تتصرف؟ أخذت الكتاب الذي كانت تبحث عنه عندما رآته على المنضدة ومسحت دموعها وانصرفت إلى المسجد..

قابلتها خديجة التي لاحظت أن هناك خطاباً ما فسألتها:

- فيه إيه يا سلمى مالك، وليه اتأخرتي؟

أجابتها سلمى:

- ممكن مانحضرش الدرس ونتكلم؟

أجابتها خديجة:

- حاضر رغم إنه درس مهم جدّاً بس حاضر يا ستي.

خرجا من المسجد معاً وجلستا تتحدثان في سيارة سلمى، انهارت سلمى في البكاء وحكت لخديجة عما وصل إليه سيف، حاولت خديجة تهدئتها قائلة:

- اهدي يا سلمى مش كدة، كل الشباب بييجي عليهم فترة يضعفوا وده بسبب البعد عن ربنا، الموضوع مش سهل، وفعلاً ليكى حق تقلقي، بس لازم تهدي عشان كمان نقدر نفكر.

وبعد تفكير منها، أقنعتها خديجة بمحاولة التقرب منه ومحاولة الأخذ بيده إلى الطريق الصحيحة وأن عليها أن ترشده إلى طريق الدروس والمساجد. كانت لازالت مع خديجة حين اتصل بها سيف:

- ايوه يا سلمى! بصي ماتتعثش برّه علشان أنا مستنيكي نتعشى مع بعض في البيت.

فرحت سلمى جدًا بمكالمة سيف، لأنها شعرت أنه يريد مصالحتها عما بَدَرَ منه، أوصلت خديجة لبيتها وذهبت لسيف، وأول ما دخلت باب المنزل نظرت له وابتسمت وإذا به يأتي بجانبها ويحتضنها، احتضنت أباها جدًا ويكيا معا..

- اعذريني يا سلمى، أنا والله مضغوط وأعصابي تعبانة، فغضب عني اتعصبت عليك، كان متقلقيش دي تالت مرة أشرب فيها حشيش؛ يعني ماتعودش عليه ولا حاجة، ووالله ما هاشربوا تاني.

نظرت له سلمى بعطف قائلة:

- مالك بس يا حبيبي، احكي لي، هو احنا لينا غير بعض!

- طبعا لا! إنتي أختي وصاحبتي حتى لو كنا مقصرين في حق بعض، بس أنا تعبان يا سلمى جدًا، تعبان أووي من ساعة ما سقطت السنة اللي فاتت، أنا اتظلمت جدًا، اجتهدت ٥ سنين كلية وفي الآخر يبجي كلب معندوش ضمير يسقطني ويأريت عملتله حاجة، حاطني في دماغه عشان

حوار مليش أي ذنب فيه، ولما قولت ده نصيبي وأشوف شغل لقتني كمان مش عارف أشتغل، ولما اشتغلت اشتغلت شغلانه أي كلام ومش تخصصي، وفلوسها قليلة وانتي عارفه بابا الله يرحمه ماسبلناش حاجة هي عربية كل واحد فينا والبيت ده وبس، بقيت حاسس إني عالة في البيت، كنت مستني أخرج عشان أنا اللي أصرف، لقتني لسه باخد مصروف من ماما، بعد تعب ٥ سنين بشتغل إني أرد على العملاء في التليفونات، المرتب مش بيكفي البنزين.. كمان أنا نفسيتي تعبانه بقالي سنة ونص من يوم ما سبت شهد - حاسس إني إتبعث بالرخيص رغم إني إديتها كل حاجة، واستأمنتها على مشاعري، حاسس إن حياتي بقيت مفهاس أي حاجة مفيدة وحتى لما بحاول أعمل حاجة وأنجح، الدنيا واقفة قصادي ومش مدياني أي فرصة.

أمسكت سلمى بيد أخيها قائلة:

- متقولش كده يا سيف! ربنا كريم! بكره الدنيا تتحسن وتتخرج وتلاقي شغل أحسن في تخصصك، وتقابل الإنسانية اللي تستاهلك اللي تنسيك أيّ وجع وتعب، إنت بس قول يارب.

تنهّد سيف قائلاً:

- يارب!

قالت سلمى:

- سيف! أنا مش عايزاك تقع في الغلط اللي أنا وقعت فيه، الواحد لما الشيطان يقرب منه في غلطة واحدة بتجر وراها ١٠، أنا قلعت الحجاب

وشوية شوية بقيت أشرب سجاير، شوية شوية مش بواظب في الصلاة وكانت أسوأ فترة في حياتي، اوعى تخلي مشاكلك تنسّيك ربنا، بالعكس دي المفروض تقربك أكثر، اطلب منه إنه يريّح قلبك، إحكيه كل اللي في قلبك عشان ترتاح، ولو على الشغل يا سيدي ممكن نفكر فيها مع بعض، نشوف بديل للشغل بتاعتك مادام مش مرتاح، حتى لو حاجه مش في الهندسة بس ترتاح فيها مؤقتاً، أنا مش عارفة ولا في دماغي حاجة، بس لو فكّرنا أكيد هنلاقي حل.

ابتسم سيف قائلاً:

- عندك حق! إن شاء الله ربنا يعمل الخير وأرجو كي متزعليش مني أبداً،
حقك علياً.

ابتسمت سلمى:

- مقدرش أزعل منك يا حبيبي.

تحسّنت علاقة سيف بأخته عن ذي قبل، كانت تشجعه للمواظبة على الصلاة في أوقاتها وأصبح يحضر معها بعض الدروس الدينية، وأصبحت سلمى دائمة التفكير في كيفية مساعدة أخيها حتى يبقى مرتاح البال..

خطرت ببالها فكرة، وقررت أن تتناقش معه فيها، فذهبت إليه وهو يشاهد التلفاز قائلة:

- بقولك إيه يا سيف! اقل التلفزيون ده عايزاك في حاجة مهمة جداً.

أغلق سيف التلفاز ونظر إليها قائلاً:

- إيه فيه إيه، خير.

- هو انت تقدر تستغنى عن عربيتك؟

- ليه؟! هي عربيتك بايطة ولا إيه؟

- لا يا ابني، ممكن تبعها يعني؟؟

- مش فاهم حاجة! انتي دماغك فيها إيه؟

- من الآخر أنا بفكر نبيع عربيتنا أنا وانت ونبداً في مشروع صغير، يكون جنب شغلك، فهيكون كده معاك فلوس أكثر ونفسيك تكون أحسن، إيه رأيك؟

- والله يا لومة فكرة حلوة، بس مشروع إيه ممكن نعمله؟

- مش عارفة لسة، بس ما دام موافق على المبدأ يبقى نفكر وأكد ربنا هيكر منا.

- تمام إن شاء الله، نشوف العربيات تجيب فلوس كام وعلى أساسها نحدد المشروع.

وبدأ سيف وسلمى يفكران في المشروع المناسب، سيف مهندس مدني لوكان يمتلك من المال كان سيشتري أرضاً ويبنى عليها عمارة، ولكن للأسف المبلغ المتاح لهم ١٥٠ ألف جنيه وهذا لا يكفي، كانت من أحلام

سلمى أن تكون صاحبة أكبر سلسلة لمحلات الورد، وحاولت مناقشته في فكرة محل للورد، ولكنه لم يتحمس لها، وظلا يبحثان عن مشروع آخر، إلى أن توصلا أن يقوموا بفتح محل للملابس المستوردة، وبالفعل قررا أن يؤجرا محلاً في منطقة مناسبة، وسافر سيف تركيا وأحضر الكثير من الملابس، وأوصى أصدقاء له بأن يأتوا ببعض الملابس من بلاد مختلفة. وبعد أربعة أشهر من دراستهما للمشروع، تم تأجير المحل ووصلت بالفعل البضاعة، وبدءاً إعلاناتها عن طريق الأصدقاء ومواقع التواصل الاجتماعي، وبدأ المحل بالعمل.. ويوم الافتتاح حضر الكثير من الأصدقاء والزبائن..

سلمى:

- يااه يا سيف! أنا مش مصدقة، أخيراً بدأنا!

أجاب سيف:

- الحمد لله يا سلمى! أنا بجد سعيد جداً بالخطوة دي ويارب تكون بداية خير...

تم تعيين فتاة للبيع في المحل، وكانت تباشرها سلمى فترة الصباح عندما يكون سيف في عمله، وفي الليل يباشر سيف العمل..

أصبح للحياة طعمٌ جديدٌ لكلٍ منهما، جميل أن تبدأ عملاً صغيراً بنفسك، وبمجهودك وتعبك، و يكبر ذلك العمل ويزدهر.. كأنه بذرة صغيرة نسقيها، فتكبر وتكبر، إلى أن تصبح وروداً كثيرة ذات ألوان مبهجة. كان

إيراد المحل كبيرًا ويكفيهم لشراء بضاعة جديدة و ادخار جزء، ومساعدة الأم في مصروفات البيت. وبعد ستة أشهر لم يصبح سيف بحاجة إلى عمله الصباحي.. وأعطى كل وقته ومجهوده للمحل..

أثناء تلك الفترة كانت هناك فتاة تتردد على المحل بصفة دائمة، وتشتري الكثير من الملابس منه، تعرّف عليها سيف بحكم وجوده الدائم في المحل.. يتبادلان دائمًا أطراف الحديث فعرف أنها تسمى "حنين"، وتدرس بآخر سنة في كلية الهندسة جامعة القاهرة وتعمل مع والدها في شركة مقاولات كبيرة ومعروفة..

ومرت الأيام وأصبح سيف ينتظرها تأتي للمحل حتى يراها، يُفكر فيها دائمًا ويتذكر حديثهما القليل دائمًا، وكأنها أصبحت جزءًا من حياته، وعندما غابت أكثر من شهر، على غير عاداتها؛ عرف سيف كم يفتقدها ويفتقد رؤيتها، وأصبح يبحث عنها بعينه في وجوه من حوله...

حتى جاء اليوم و أتت حنين إلى المحل، دخلت المحل بابتسامتها المشرقة، فأشرق وجه سيف من شدة الفرحه قائلاً:

" أهلاً يا آنسة حنين! بقالك مده مش بتيجي!؟"

فأجابت حنين بحياء:

- كنت مسافرة مع بابا بقالى شهر ولسة راجعة النهارده من ٣ ساعات.

فابتسم سيف:

- ياه لسة النهاردة، ده أكيد حضرتك عندك مناسبة مهمة جدًّا اللي خليتك تيجي في نفس يوم سفرك من غير ما تترتاحي!
ظهرت على وجهها أمارات الارتباك الشديد، رغم أن سيف لم يقصد أي شيء بكلامه، فقالت في خجل:

- أيوة عيد ميلاد صاحبتى النهاردة وعايزة ألبس حاجة جديدة.

- أنا جالي امبارح تشكيلة جديدة شيك جدًّا؛ أعتقد هتعجبك، وهتكون جميلة أوي عليكى زي كل لبسك!

ارتبكت حنين جدًّا وشكرته على مجاملته اللطيفة، وأخذت ما يناسبها وسألته عن السعر، ولكنه أجاب قائلاً:

- ده هدية ليكي من المحل!

استغربت حنين وقالت:

- هدية! إزاي!! بمناسبة إيه يعني!!

- من غير مناسبة، ممكن تعتبره هدية بمناسبة عيد ميلاد صاحبتك!!

رفضت حنين وشكرته وأصرت أن تدفع الثمن المكتوب على الملابس، وهمت بالرحيل فناداها سيف:

- آنسة حنين! هتيجي تاني قريب ولا هتتأخري زي المرة اللي فاتت.

ابتسمت حنين قائلة:

- ربنا يسهل!

خاف سيف أن تضيع تلك الفرصة من دون أن يعرف عنها أكثر فقال لها:

- طيب هو ممكن نمرتك؟! أنا مش قصدى حاجة، بس أختي نفسها تتعرف عليكى أووى - لكن دايمًا لما انتي بتيجي هي مش بتكون موجودة.

فابتسمت حنين قائلة:

- طبعًا ممكن! أنا يشرفني إني أتعرّف عليها.

وأخرجت كارتها الشخصي من الحقيبة وأعطته لسيف واستأذنت في الانصراف، ورحلت في سعادة نجحت في اخفائها عليه حتى وصلت إلى منزلها. كان يراودها القلق قبل ذهابها للمحل خوفًا من أن يكون سيف غير موجود، فقد ذهبت خصيصًا لتراه، لا لتشتري فستانًا جديدًا كما ادّعت. لا تعرف لماذا تنجذب إليه إلى ذلك الحد وهي لا تعلم عنه سوى اسمه ومهنته؟ كذلك فرح سيف بأنه أخذ أول خطوة للتعرف عليها أكثر، لكنه لا يعلم ماذا سيفعل برقم هاتفها، هل يتصل بها؟ لكنه لا يستطيع فعل ذلك لأنه أبلغها أن الرقم لأخته، أخته التي لا تعلم أي شيء عن حنين ولم يحدثها سيف أبدًا عنها..

مر أسبوع و آخر بدون أي أخبار عن حنين. أمسك سيف بالهاتف أكثر من مرة ليتصل بها و يطمئن عليها ولكنه تردّد، ماذا سيقول لها؟ وبماذا سيبرر سبب اتصاله؟ فأمسك بهاتفه واتصل بسلمى قائلاً:

- أيوه يا سلمى! إنتي فين يا حبيبتى؟!!

قالت سلمى:

- أنا في الطريق راجعة البيت دلوقتي، كنت في درس ولسه مخلصاه.

- طيب ما لو فاضيه تعالي عدي علياً في المحل شوية.

- إنت عندك مشوار يعني، وعايزني أكون مكانك؟!!

- لا يا حبيبتى! انا عايزك تيجي نقعد شوية مع بعض.

- حاضر! ساعة إن شاء الله وأكون عندك.

ظل سيف ينتظر أخته وهو يشعر بأن الوقت لا يمر، مرت الساعة كأنها أيام طوال.

- إيه يا سلمى ده! كل ده تأخير!

" تأخير إيه، ده أنا حتى ماعديتش على البيت؟! "

جلسا معاً وهي تنظر إليه بحيرة، فعيناه تمتلئ بالكلام لكنه لا ينطق بأي كلمة.. فسألته سلمى بهاذا يفكر؟ ولماذا أصرّ أن تحضر إليه؟

- بصي أنا مش هافضل ألفّ وأدور عليكى كثير، بس أنا والله مش عارف
أقول إيه؟

- قول اللي انت حاسّه وبس يا سيف، سيب قلبك يتكلم من غير ما
يعدي الكلام على عقلك.

- فيه بنت اسمها حنين! عايزك تتعرّفني عليها.

ابتسمت سلمى قائلة:

- مممممم، حنين!

فقال سيف بارتباك:

- هو إيه ال مممم، انتي عبيطة، مالك فيه إيه؟؟

- لا لا ماليش ولا حاجة، مالها بقي حنين دي؟ وليه عايزني اتعرّف عليها؟

- عادي يعني! شكلها بنت كويسة، وحاسس إنكم ممكن تبقوا اصحاب
فقولت أقولك.

حكى سيف لأخته كل شيء وما يشعر به، وأكد لها أنه ليس حبًّا؛ بل مجرد
انجذاب لتلك الفتاة التي لا يعلم عنها سوى اسمها ودراستها وعملها مع
والدها فقط. شعرت سلمى بفرحة من كلام أخيها؛ لأنه منذ أكثر من ثلاثة
أعوام ليس بالطبيعي فتجربته مع شهد كسرت داخله الكثير، وكُسر أكثر
بسبب ما فعله به أستاذ الجامعة وعدم تحرُّجه إلى الآن، وعدم عمله بالهندسة

رغم تقدمه لوظائف كثيرة، لكن دائماً ما تُصييه خيبة الأمل. وَعَدَتَه سلمى أنها ستحادثها وتُحدد معها موعداً للتعرف عليها وبالتالي تكون بداية لعلاقة ومعرفة بينهم..

انصرفت سلمى لأن لديها سورة من القرآن يجب أن تحفظها خلال يوم واحد، فسلمى مستمرة في نفس طريقها؛ طريق حفظ القرآن الكريم، والدروس الدينية، والدراسة في معهد للشريعة، وأصبحت أقرب صديقة لها خديجة، إلا أنها كثيراً ما تشعر بتقصيرها ناحية دينا التي لم ترها منذ أكثر من عام ونصف منذ ولادتها لابنتها أمانى ..

قررت سلمى أن تتصل بدينا لتطمئن عليها ومحاولة مقابلتها بعد فترة طويلة من الغياب، فالحياة وضغوطها تأخذنا من أقرب الناس إلينا، ويمر الوقت سريعاً ونكتشف أن ما فات منه أعوام، ونحن في تلك الدوامة بعيداً عمّن نحب. وبالفعل ذهبت سلمى لزيارة دينا في بيتها.. وبعد السلامة والتحيات ولعب سلمى مع أمانى الصغيرة قالت دينا لسلمى:

- سلمى! إنتي مش بتقدمي في قنوات؟

فقامت سلمى من الأرض التي كانت تجلس عليها تداعب الصغيرة
قائلة:

- قنوات إيه بس يا بنتي ما خلاص.

- هو إيه اللي خلاص؟ وليه أصلاً خلاص؟

- عشان مبقاش ينفع؛ أنا بقيت ملتزمة جداً و متمسكة بديني جداً، وأنا عشت في الوسط ده وشوفت وعرفت إني مش هاقدر أشتغل فيه من غير تنازلات وخلاص أنا استحالة أتنازل عن أي حاجة.

قالت ديبا:

- أنا مش مصدقة! هي دي سلمى اللي كانت ديبا تتكلم عن التفاؤل والنجاح في الحياة وتحقيق الأحلام، هي دي سلمى اللي عمرها ما استسلمت لأي حاجة وشايفة إنها تقدر تغير الدنيا والعالم وتفصله على المقاس اللي يناسبها، أنا بجد مصدومة من كلامك!

قالت سلمى:

- لا ماتتصدميش، للأسف المجتمع اللي بقينا عايشين فيه بيكسر كل أحلامنا وطموحاتنا؛ كان حلمي أكون مذيعة كبيرة وأقدم برنامج هادف عن الأخلاق، ووصل بيّا الحال من كتر الضغوط اللي قابلتها إني أقدم برنامج تافه؛ سيف عاش حياته يحلم يدرس الهندسة، وآخرتها فضل يردّ على تليفونات، ودلوقتي واقف في المحل زيّه زيّ أي بيّاع حتى لو ملكه بس مش ده اللي كان بيحلم بيه، إحنا مبقاش قدامنا غير إننا نتنازل عن أحلامنا عشان نقدر نساير الواقع وعشان نقدر نكمّل حياتنا.... وأهي عيشه بقى والسلام.

- كل شيء بأوان يا سلمى؛ مش معنى أن سيف مش لاقى شغل في مجاله إنه يئأس، ولا معنى إنك ما عرفتيش تحققي حلمك في فترة ما إن الحلم ضاع، أومال هي اسمها أحلام ليه، عشان جميلة، وأي شيء جميل محتاج مننا نتعب ونتعب أو ووي كمان عشان نوصله، كمان انتوا أحلامكم تحققيها اتأخر بس ما شاء الله عليكم دلوقتي مشرو عكم ناجح، وربنا بيكرمكم فيه.

ابتسمت سلمى ابتسامة سخرية قائلة:

- الحمد لله! بس بالنسبة للأحلام فربنا يسهل ومتفضلش أحلام!

أصبحت سلمى ترى أن الكلام عن التفاؤل والأحلام ما هو إلا بعض الكلمات التي تُقال لنعيش في عالم آخر نهرب فيه من واقعنا المرير.. انتهى الكلام في هذا الموضوع، لكنه لم ينته أبدًا من تفكير سلمى، فهي لا تعلم هل نست حلم عمرها أم تناسته؟ هل بالفعل تنازلت عنه بتلك السهولة؟ أم أن الظروف هي التي أجبرتها على التنازل؟ وهل فعلاً الظروف يمكن أن تجبر الإنسان على التنازل؟ أم أنها تجبر فقط الإنسان الضعيف الذي لا يمتلك الإرادة؟ إنها الأيام التي يمتزج فيها الجمال بالقبح واللذة بالألم واليأس بالأمل، فلا غرو أن تجتمع الأضداد في وقت واحد، المهم أن يستفيد الإنسان من أي درس يتعلمه في هذه الدنيا، ولا يستسلم لليأس والإحباط، وليكن دائماً على حُطى المتأهبين الناشطين غير المتثاقلين، وأن يفكر كل منّا في مستقبله بأناة وحلم شديدين وأن يأخذ الأمور بجِدِّ وقصد..

وبعد تفكير عميق قررت أن تتقدم مرة أخرى للعمل في إحدى القنوات الفضائية ولكنها تلك المرة ستختار القنوات الدينية التي لا تقبل أن يعمل

بها غير المتدينين والمحجبات؛ لعل وعسى أن تجد الفرصة المناسبة، وبالفعل بحثت عنها وأرسلت لها جميعاً طلب تحديد ميعاد لها، ولكن لم يجبها أحدٌ من هذه القنوات.. أما بالنسبة لموضوع أخيها فبالفعل اتصلت بحنين قائلة:

- ألو! حنين معايا!

- أيوه يا فندم! مين حضرتك؟

- أنا سلمى أخت سيف! أنا أسفة للإزعاج، وآسفة لو الوقت مش

مناسب.

- لا أبداً، أنا كنت مستنيّة مكالمتك أصلاً عشان أتعرف عليكى.

- ده أنا والله اللي أتمنى إني أتعرف عليكى.

- إن شاء الله قريب جدًّا.

وحددا موعداً في كافييه قريب من المحل وتقابلا؛ استغربت سلمى مما يحدث؛ فهي لم تقابل أبداً أحداً لا تعرفه، واستغربت الطريقة التي تتعرف بها على حنين، رغم أنها غير متأكدة أن يكون بينها وبين سيف شيء ما في يوم من الأيام. شعرت سلمى خلال مقابلتها أن حنين إنسانة رقيقة ومحترمة جدًّا، وعرفت عنها الكثير من التفاصيل والمعلومات الشخصية، وأنهت جلستهما على وعدٍ من كل منهما بمحادثة الأخرى والمقابلة في أيام قادمة..

وكانت تلك أول خطوة في معرفه سيف بحنين - الذي أصبح دائم الخروج معهما هما الاثنتين وأصبحوا أصدقاء..

اتصلت قناة فضائية دينية معروفة بسلمى لتحديد موعد للمقابلة، ترددت سلمى كثيراً لأنها أصبحت شديدة الخوف من ذلك المجال، وذهبت إلى الميعاد مرتدية عباءة واسعة بنية اللون و (إيشارب) طويلاً أيضاً يحتوي على أكثر من درجة من نفس اللون، ولم تضع أيّاً من مساحيق التجميل، وبعد عدة مقابلات تم قبولها مؤقتاً على أن تقوم بتبست للكاميرا معرفة هل إذا كان هناك قبول لوجهها على الشاشة أم لا؟ فهناك وجوه جميلة لكنها تظهر سيئة على الشاشة والعكس، وأتى الموعد المحدد، فطلب المخرج أن تضع بعض مساحيق التجميل قائلاً:

"يا أستاذة سلمى، الكاميرا غير الحقيقة، لازم تحطي مكياج عشان وشك يبان في الكاميرا، ومتفتكريش إنه هيطهر على الشاشه أوفر، لا ده هيطهر وشك إنه طبيعي.

وبعد مناقشات بينها وبين المخرج وضعت بعض مساحيق التجميل، وجاء وقت الوقوف أمام الكاميرا وتركيب المايك والساعة، فمن السهل أن تضع هي الساعة تحت طرحتها ولكنها لا تعرف بالتأكد كيف تضع المايك، فحضر مسئول الصوت وعندما اقترب منها ليضع لها المايك في العباءة دفعته بقوة أوقعت الميكروفون من يده، حتى استغرب الجميع ما حدث فقالت مرتبكة:

- آسفة جداً، أنا بس اتفاجئت، اعذرني حضرتك اديهولي وأنا هاركبه.
عبر مدير الصوت عن استيائه بزفرة قوية، وأعطاه المايك وانسحب ووضعته سلمى بنفسها، لكن لم يكن مضبوطاً والصوت مشوش مما اضطر

المخرج أن يقول لها إنه يجب أن يضعه مهندس الصوت حتى يحصل على أفضل نتيجة للصوت ولكن اعترضت سلمى قائلة:

- هو ممكن يقولي أعدله ازاي وأنا أعدله.

فخرج المخرج عن صمته قائلاً:

- لا بقي دي مش طريقة، يا ستي ده مهندس صوت محترم، ومش هيقرب من جسم سعادتك في حاجه، ده هيحط المايك من بعيد من غير ما يلمسه، مش معقول كده بقالنا ساعة مش عارفين نتتيل نعمل تيست الكاميرا.

امتلاأت عينا سلمى بالدموع وأخذت حقيبتها مستأذنة بالانصراف ولم يمنعها أحد، وأثناء طريقها ظلت تبكي مما حدث ومن الطريقة التي تحدث بها المخرج، لا تعرف هل هي من تكبر الموقف أم من حقها رفض ما حدث، أصبحت مشتتة التفكير لا تعلم الصحيح من الخطأ، وعند وصولها للمنزل لاحظت أمها وأخوها ما بها، وفور سؤالها عن نتيجة تيست الكاميرا انهارت أعصابها وأخذت في البكاء، وبعد أن هدأت بدأت تحكي لهم ما حدث بالتفصيل وكان رد الأم:

- يا سلمى! انتي إيه حصل لك يا بنتي، بقالك سنتين ولا ٣ محدش عارف يكلمك، انتي فيه إيه، الراجل مش هياكلك ومش هيعاكسك ده بيعمل شغله، ليه تعصبيهم كده وتحسسيهم انهم ناس مش محترمة، انتي بقيتي غريبة فعلاً!

وكان رد سيف:

- إتي مش غلطانة ولا حاجة يا حبيبي، انتي لو لقيتي حاجة غلط من ححك تعترضي، لكن الناس من الي حكيته ماغلطوش، هو بيحط المايك بالمشبك من بعيد وهو فعلاً أدرى حد بشغله.

استمرّت سلمى بالبكاء رافضة رأيها. كانت تشعر أن كليهما مستاء من التزامها، ولا تعرف لذلك سبباً، تظن أنها يُحاربونها لارتدائها العباءات التي طالما رفضتها والدتها ورفضت فكرة ارتداء سلمى لها..

أصبحت علاقة سيف بحنين قويّة إلى حد ما، يتبادلان الاتصالات للاطمئنان على بعضهما، حكى لها عن مشكلته في التخرج؛ وكيف استغل ذلك الدكتور الذي لا يحترم شرف مهنته معرفه سيف بدكتور فهمي حتى يتتقم منه فيه، وحكت له حنين عن حياتها ووالدها واقترحت عليه أن تكلم والدها ليلتحق سيف بالتدريب في المواقع الهندسية مع والدها ولكنه رفض نهائياً، وقال لها إنه لن يقوم بتلك الخطوة إلا بعد أن يتخرج نهائياً من الكلية..

بدأ اسم المحل يشتهر أكثر فأكثر، وفكّر سيف وسلمى أن يفتتح فرعاً جديداً في مكان آخر، ولكن طموحات سيف كانت أكبر من فرع أو اثنين، فقرر أن يؤسس شركة كبيرة للتوزيع في كل أنحاء الجمهورية، وبالفعل

بدأ بدراسة الفكرة مع أخته سلمى، مع الاستعانة بخبير في مجال التسويق، وتأجير مكتب بالقرب من الفرع الرئيس لمحل الملابس، وتعيين الخبير فيه كمدير للتسويق، وقام بعمل إعلان في جريدة ما يطلب للعمل شابًا من الجنسين للعمل في التوزيع، وبالفعل تقدم الكثير للعمل، اختار سيف عشرين شابًا وفتاة رأى فيهم النشاط والاجتهاد والمثابرة والإصرار على النجاح. وعرض عليهم فكرة التسويق الجديدة، وأثناء جمعه معلومات عن كل أصحاب المحلات الكبرى في أنحاء الجمهورية في محاولة منه لفتح مجال للتعامل معهم، كان الشباب والفتيات الذين تم اختيارهم يتلقون تدريبات لتنمية مهاراتهم البشرية والتسويقية، وحتى يزيد من حماسهم وضع ١٥٪ من ثمن البضاعة المباعة نسبة للمندوبين والموزعين وهي نسبة كبيرة جدًا، وأصبح سيف وسلمى والموزعون يداً واحدة وجمعتهم الصداقة، واشتركوا في نفس الهدف وهو النجاح..

كان الموزعون يتعاملون في عملهم كأنه مشروعهم الخاص، فما وجدوه من حب واحترام وتقدير من سيف زرع بداخلهم حبًا له وللعمل، وأصبح هدفهم تكوين أكبر سلسلة محلات لبيع وتوزيع الملابس المستوردة. ومن أول مكسب لأكثر صفقة قاموا بها اشترى سيف سيارة لأخته تعويضًا لها عن سيارتها التي باعها من أجله، فقالت سلمى عندما تفاجأت بالسيارة:

- يا حبيبي يا سيف! بتجيلي أنا عربيّة، وانت اللي أولى مني بيها، كمان دي غالية أوووي.

- مفيش حاجة تغلى عليكى يا حبيبتي! من غيرك ومن غير وقوفك جمبي
مكنتش هاقدر أحقق أي حاجة، مانا أصلاً هبقى استلفها منك لحد ما ربنا
يكرم واقدر أجيب لنفسى واحدة.

احتضنت سلمى أخاها، ذلك الحضن الدافئ الذي يشعر الإنسان به
أنه ملك العالم بأسره، فما أجمل حضن الأخ وصدقه.. فالأخ هو من يتمنى
لإخوته الخير ويحبهم من كل قلبه دون أي هدف أو مصلحة.
الأخوة نعمة لا يضاهيها في الوجود مثل.

للسنة الرابعة لم ينجح سيف في تلك المادة، قدّم سيف شكاوى عدة لإدارة
الكلية وقدم شكاوى ضد ذلك الأستاذ معدوم الضمير، ولكن للأسف من
دون فائدة، كان رد إدارة الجامعة أنها لا تتدخل في تصحيح الأوراق، هي
فقط من الممكن أن تُعيد تجميع الدرجات في الورقة بناءً على الشكاوى
المقدمة، ولكن المسؤول الوحيد الذي من حقه تقويم الإجابات و إعطائها ما
تستحق من درجة هو دكتور المادة..

أصبح سيف لا يُبالي بالتخرج، أو بمعنى أصح يحاول الأيبيالي، فهو يعمل
وينجح في تحقيق أهدافه، وأصبح أصغر صاحب محلات ملابس مستوردة
وصاحب شركة للتوزيع. حينئذ تسانده في خطوات نجاحه، ودائمًا ما
تشجّعهُ وتحفّزه للنجاح أكثر وأكثر، تخرجت حين وبدأت العمل مع والدها
وأصبحت ترتبط بسيف جدًّا وتنتظر الوقت الذي يعترف فيه بحبه لها..

سيف يعرف بالفعل أن عليه الاعتراف بما داخله من مشاعر تجاهها، ولكن عدم تخرجه هو ما يمنعه، يتمنى أن يتقدم لها رسمياً ولكنه ينتظر على أمل أن تُحل مشكلته ويتخرج من تلك الكلية. فقد قدم بلاغاً وشكوى لرئيس الجامعة وسانده فيها دكتور فهمي وبعض الأساتذة الذين يعلمون جيداً تفوق سيف، لكن أصبح سيف غير قادر على الانتظار للإفصاح عما بداخله، ففي أول مقابلة له بحنين بعد تفكير عميق قال:

- وحشتيني يا حنين، بقالي أكثر من أسبوعين مشوفتكيش.

قالت حنين مبتسمة:

- معلش، المهم إنك خلصت الشغل اللي وراك والطلبية اللي كانت عندك.

- طيب بالنسبة لاني قولتلك وحشتيني!

ضحكت حنين وهي في شدة الخجل ولم تتفوه بأي كلمة.

نظر سيف في عينيها الجميلتين قائلاً:

- أنا بحبك!

لم تستوعب حنين ما قاله سيف، لا تعرف بماذا تجيب، فاكثفت بالابتسامات التي لم تستطع أن اخفهاها..

وبدأت حكاية سيف وحنين، سيف ينجح في عمله ومشروعه وحنين تشاركه كل خطوات حياته، حاولت حنين أن تفتحه في موضوع الخطبة،

لكن دائماً ما يمنعها كبرياًؤها، فذلك الطلب لا بد أن يكون منه هو، رغم أنها تشعر دائماً باستياء والدتها من مقابلتها لسيف دون أي ارتباط رسمي..

وفي يوم دون أن تشعر حنين، أخذت أمها رقم هاتف سيف من هاتفها، فأمرها تعلم جيداً أنها إذا طلبت الرقم من حنين سترفض، واتصلت والدة حنين بسيف وطلبت منه المقابلة راجية منه ألا يُبلغ حنين، وبالطبع وافق سيف وذهب إلى المكان المحدد في الميعاد، عرفته والدة حنين من وصف حنين له وتقدمت إلى الطاولة التي يجلس عليها قائلة:

- ازيك يا سيف!

فقال سيف:

- أهلاً يا طنط! ازي حضرتك، اتفضلي.

ثم طلبا كويين من الشاي وقالت والدة حنين:

- طبعاً إنت مستغرب إني كلمتك وإنا قاعدين مع بعض دلوقتي!

قال سيف وكله ثقة بنفسه:

- لا عادي! ده شرف ليّا إني أقابل حضرتك.

أجابته والدة حنين:

- شكراً يا سيف! أنا هدخل في الموضوع على طول، أنا جاية النهاردة

عشان أعرف حنين بالنسبة ليك إيه؟

قال سيف:

- أنا مش هاتكسف من حضرتك وهجاوبك، أنا بحبها، حنين بالنسبة ليًا هي كل حاجة.

- طيب إيه آخره خروجاتكم كل يوم والتليفونات والحب ده؟!

- طبعا يا طنط آخرته الجواز، أنا والله مش بتاع تسليه وباحترم حنين جدًا ونيتي خير.

- وامتي بقي الجواز ده؟ أو حتى الخطوبة؟

- لسة يا طنط شوية، أنا عندي مشاكل في تخرجي، أول ما تتحل أول حاجة هاعملها إني أتقدم لحنين.

- حنين حكّت لي على موضوعك مع الدكتور، بس أنا ووالدها مش هانانع إن يكون فيه خطوبة حاليًا والشهادة كدة هتاخذها.

قال سيف:

- أنا اللي عندي مانع يا طنط، انا مش هدخل البيت واتقدم وأنا لسه متخرجتش، إن شاء الله أستلم شهادتي وأتخرج وهاجي.

شعرت أم حنين بالإحراج الشديد، فهي التي تطلب منه التقدم لابنتها، وهو يرفض ذلك فقالت بنبرة صوت منفعلة قليلًا:

- خلاص يا ابني! مادام مش دلوقتي يبقى متكلمهاش خالص لحد ما تقدر تتقدم رسمي.

قال سيف:

- حاضر!

زاد رده من عصبية الأم فقالت:

- ولو كلمتك متردش عليها!

فقال سيف:

- بصي يا طنط! أنا ممكن أوعدك ما أكلمهاش، بس طول ما أنا عايش، لا يمكن يبجي يوم حنين تكلمني ومردش عليها، لو هي مش حابة تكلمني أوكى، إنما لو كلمتني أكيد هرّد عليها.

لم تجد والده حنين من الكلام ما تقوله فمن داخلها معجبة جدًّا بشخصية سيف وصراحته، ولكنها أخرجت عندما أرادت أن يتقدم رسميًا وهو يرفض في الوقت الحالي، فقالت:

- طيب يا سيف! أنا مبسوفة إنى شوفتك، ولازم أمشي عشان عندي ميعاد.

قال سيف:

- أنا مبسوط أكثر، وياريت أبقى أشوف حضرتك تاني.

قالت الأم: "

- إن شاء الله، مع السلامة!

ظل سيف يفكر في تلك المقابلة، وهل رده على الأم كان صحيحًا أم خطأ؟، ذهب سيف إلى المنزل شارد الذهن، ولاحظت سلمى وأمها ذلك، فألحّتا عليه ليعرفا ماذا به؟ و حكى لهما، شعرتا بنخاً سيف، ولم تفهما موقفه في تأجيل خطوبته لحنين رغم أنه جاهز للزواج مادياً واجتماعياً، وأن موضوع الشهادة لا يد له فيه، كما أنه يعمل ولا يحتاج الشهادة حاليًا، حاولتا إقناع سيف أن يتراجع عن تفكيره لكن دون جدوى..

حوّلت الأم الدفة تجاه ابنتها قائلة:

- وانتي ياست سلمى! مش شايفة إنك عدّيتي ال ٣٠ وكفاية كدة!؟!

ابتسمت سلمى لأمها، ثم قبّلتها واستاذنت للذهاب إلى النوم دون أن تنطق بكلمة حتى لا تدخل في جدال لا طائل من ورائه.

لاحظت حنين تغير سيف الذي التزم بوعده للأم ولم يحاول محادثتها أبداً، ومرت ثلاثة أيام دون أيّ اتصال منه، فاتصلت حنين به قائلة:

- ازيك يا سيف! خير مالك هو انت تعبان، أصل بقالك ٣ أيام مكلمتيش.

- لا أبداً! أنا كويس، أنا بس مشغول في الشغل.

- ما انت على طول مشغول وبتكلمني، أو حتى بتظمني بمسدج، اشمعنا

دلوقتي!؟!

- عادي يا حنين، مفيش حاجة انتى عامله حوار ليه "

حزنت حنين من طريقة سيف معها... وعندما انهارت حنين بالبكاء، وعرفت والدتها ما يحدث اعترفت لها أنها هي من طلبت من سيف ذلك، حزنت حنين أكثر لتدخل والدتها في ذلك الموقف ولمقابلتها سيف من دون علمها، شعرت أن والدتها وضعت قيوداً في علاقتها بسيف وقالت:

- ليه بس يا ماما كده؟!، أنا اليوم اللي سيف ميكلمنيش فيه بيبقى ناقصني حاجات كتير ونفسيتي بتتعب، وأنا واثقة فيه وفي حبه لئاً، لكن هو ظروف تحرُّجه تاعباه، وأنا رضيت إني أستحملها، ليه تعملي كده وتبعدي بيننا!
قالت الأم:

- يا بنتي! أنا باتمنى سعادتك، ومش قصدي ولا نيتي أبعد بينكم، أنا عايزة علاقتكم تكون طبيعيه وفي النور، ومحدث يزعل من الأصول!.
قالت حنين:

- ومين قال يا ماما إنها في الضلمة، ما انتي عارفة إننا بنحب بعض، وبابا عارف، وأهله عارفين، بيقى فين الضلمة في الموضوع!!
مسحت حنين دموعها التي انسالت منها بغزارة، وأخذت حقيبتها ونزلت من منزلها بسرعة متجهة إلى المحل لمقابلة سيف، دخلت والدموع تملأ وجهها، وعندما رآها سيف نهض من مكانه مفزوعاً:
- حنين مالك يا حبيبتى!! فيه حاجة حصلت!؟

ارتمت حنين في حضن سيف باكية، لا يعلم ماذا عليه أن يفعل، فهو يجبها جداً، ويتمنى ألا تفارق حضنه، وينتظر اليوم الذي تسكن فيه ذلك الحزن دائماً، وفي الوقت ذاته يخاف الله ويخاف أن يُغضبه، فحنين لا تحلُّ له، ومن شدة ذهوله وحيرته، أبعدها عنه قليلاً ونظر إلى عينيها متسائلاً:

- مالك يا حبيبتى؟!!

فطلبت منه حنين أن يذهب معها إلى أي مكان بعيداً عن المحل، وبالفعل أمسكت حنين بيده وذهبا معاً إلى مكانها المفضل، عندما يحاول سحب يده، تمسكها هي بقوة كي لا تُفلتها، حتى استسلمت يده لها، كأنها طفل صغير يستمد الحنان من حضن أمه..

قالت حنين:

- إنت ليه مقولتيليش إنك قابلت ماما؟!!

قال سيف بارتباك:

- عادي يا حبيبتى مجاتش فرصة.

- سيف! أنا بحبك ومقدرش أستحمل يوم واحد ماتكلمنيش فيه، إحنا اللي بينا أقوى من أي دبلة وخطوبة، إحنا بينا عشق روح، وحب يملى العالم كله، أنا ماليش دعوة بكلام ماما وباعتذرلك عنه، أنا مش عايزة لا خطوبة ولا أي حاجة، أنا عايزاك بس تكون جمبي، كل يوم، وكل ساعة وكل لحظة، أرجوك يا سيف إوعى تبعد عني.

اغرورقت عينا سيف بالدموع من شدة صدق وحب حين له، فقلبه
يسمع دقات قلبها، وعيناه تشعر بصدق عينيها فقال سيف:

- ولا أنا والله أقدر أبعد عنك... وما تعتدريش عن حاجة، طنط مش
غلطانة وبتتكلم صح، أنا بس الي نفسى لما اتقدملك ميكونش ناقصني أي
حاجة، وأكون مهندس فعلاً بيتقدملك مش طالب مش عارف يتخرج،
حين..."

رفعت عينيها في عينيه كأنما تبحث عن ضالتها فيها وقالت:

- نعم يا روح حين!

- أنا هكلم والدك النهاردة أحدد معاه ميعاد عشان آجي أزوركم أنا
وماما وسلمى، وياارب يكون الميعاد النهاردة أو حتى دلوقتي؟
بكت حين أكثر قائلة:

- أنا مش جايا لك عشان كده، والله أنا....

قاطعها سيف قائلاً:

- ماتكلميش، كل اللى عايضة تقوليه أنا حاسه وعارفه، واللي عارفه أكثر
إني بحبك يا حين أو ووى، بحبك أكثر من أي حاجة في الدنيا.

حدد سيف موعدا مع والديها وذهب لخطبتها بصحبة أمه وأخته.
وبالفعل وافق والدها، وتم تحديد موعد الخطوبة الرسمية، وبهذا ارتاحت
والدة حين لخروجها ومكالماتها..

بعد خطوبة سيف بأيام بدأت والدته سلمى بالحديث المستمر عن رغبتها في زواج ابنتها، فمجتمعنا المصرى يطلق اللقب العقيم "عانس" على أي فتاة يتعدى عمرها الثلاثين عامًا دون زواج، وبعض الأحيان يطلق ذلك اللقب على من هم أقل سنًا، وهذا يختلف من مكان لآخر. كان يتقدم لابنتها كثيرون، وكانت سلمى ترفض دون أن تراهم، ترى أنها غير مستعدة نفسيا لهذه الخطوة، ترى أن أحلامها أكبر بكثير من زوج، أحلامها تحقيق ذاتها واحترامها لنفسها، ومن ثمَّ تفكر في من تكمل معه مشوارها. تلك النقطة ظلت سبب الخلاف الدائم بين سلمى ووالدتها، دائمًا ما تقارنها الأم بصديقاتها، فجميعهن تزوجن وأنجبن أطفالًا، وتُقارنها بسيف الذى يصغرها بعشر سنوات وحنين التي تصغرها بثلاثة عشر عامًا، ويجهزان لزوجها. لكن سلمى لم تبال أبدًا بكلام أمها.. واستمرت المشاكل بينها وبين أمها وزادت.. إلى أن قررت الأم أن تطلب من خال سلمى التدخل لعله يقدر على إقناعها بالامر..

أبلغت الأم سلمى أن خالها سيحضر بعد يومين لتناول الطعام معهم، أتى خالها وتناولوا الطعام والشاي وتبادلوا الضحكات والتهنئات لسيف على خطبته، وبعدها تحدث الخال لسلمى عن رغبته أمها، فقال:

- أنا مش باتدخل يا سلمى، بس انتي بقيتي ٣٦ سنة، يعني مش صغيرة، وأكيد فاهمة وعارفة إنك اتأخرتي أووي في الجواز، مش قادر أفهم تفكيرك.

قالت سلمى:

- يا خالو! أنا تعبت من الكلام ده، ليه محسني إن محور حياة البنت هو الجواز والعريس وبس، فيه حاجات كتير أووي أهم.
فقال الخال محاولاً تفهم سلمى قائلاً بهدوء:

- احنا ماقولناش كده! بس كل وقت وله أدان، وده وقت إنك تتجوزي ويبقى عندك أطفال، ده حتى السن المناسب للجواز كان لازم يكون من كام سنة كمان، مش لما تدخل في الثلاثين.

فقالت سلمى:

- ومين بقى اللي حدد السن المناسب للجواز ده؟!
تدخلت الأم بنبرة غاضبة:

- التقاليد والمجتمع اللي احنا عايشين فيه.

فقالت سلمى:

- يا ماما! التقاليد دي إحنا اللي بنعملها، مفيش حاجة اسمها سن مناسب للزواج، فيه حاجة اسمها لما أقابل الشخص المناسب ليًا كزوج يبقى ده الوقت المناسب.

قالت الأم:

- طب يا ستي! ما انتي بقيتي ٣٣ سنة ومقابلتهوش، يبقى تشوفي الناس اللي بتقدملك، مش ممكن حد فيهم يكون مناسب ويكون هو ده الشخص اللي بتتمنيه؟!!

قالت سلمى:

- يا ماما! أنا مش ضد فكرة إني أقابل حد، فيه جوازات كتير نجحت بالطريقة دي، بس أنا مش مستعدة نفسياً، مش حاسة إني عايزة أتجوز وأكون مسئولة عن بيت وأسرة، أنا عايزة أحقق نفسي الأول، عايزة أنجح في شغلي أكثر، عايزة أسيب بصمة في المجتمع، عايزة يبقى لياً دور مؤثر والجواز ييجي على مهله، أو حتى مايجيش مش مهم.

فقال الخال:

- واضح إن مفيش فايدة.

بدأت والده سلمى بالصياح، وارتفع صوتها تعترض على كلام ابنتها، التي سرعان ما قالت: "أنا عندي درس مهم ولازم أمشي" ..
وحملت حقيبتها في عجلة وانصرفت تاركة وابلا من اللوم والتوبيخ استمرت أمها في القائه من خلفها لاستكمال الحديث ..

بعد أسبوعين من خطبة حنين وسيف، دعا سيف سلمى وحنين للعشاء في المطعم المفضل لحنين، وأثناء الضحك و المرح أحسَّت سلمى بالألم في بطنها .. نفس الألم الذي اعتادته وتعود عليها .. لكنه الآن أقسى .. على غير عادته في زيارتها سريعاً ثم الرحيل . استمر معها هذه المرة لثلاث دقائق

متواصلة مما أصاب سيف بالقلق وطلب منها الذهاب فوراً للمستشفى، ولكنها رفضت متحججة بأنها ستأخذ قرصاً مسكناً وستكون بخير، بالفعل مرّت القصة بسلام ولكن شيئاً من القلق هذه المرة راود سلمى فقررت أن تذهب في اليوم التالي للدكتور..

استيقظت باكراً ولم تُبلغ أحداً إلى أين هي ذاهبة، وتوجهت إلى طبيب العائلة الذي تربطه علاقة صداقة قوية بوالدها رحمه الله، وطلب منها عمل بعض التحاليل وفحص عينة من نخاع العظام، ومن بين تلك الفحوصات تحليل كامل للدم، وسونار على الكبد والطحال، وبالفعل أجرت سلمى كل الفحوصات وذهبت بالنتائج إليه بعد يومين..

فسألها الطبيب لماذا لم يأت سيف أو أمها معها، لكنها أوضحت له ألا أحد يعرف شيئاً ولا تريد أن تقلقهما، وأن يتكلم معها بصراحة عما بها، فقال لها الطبيب:

- بصبي يا سلمى! إنتى زي بنتي وأنا عارف إنك عاقلة عشان كدة مش هخبي عليكى عشان لازم تساعديني في العلاج.

شعرت سلمى من نبرة صوت الطبيب أن الأمر خطير فقالت وهي تحاول التماسك:

- خير يا أنكل! أنا مستعدة لأي كلام حضرتك هتقوله.

فقام الطيب من مكانه وذهب إلى جوارها وأمسك بيدها قائلاً:

- بصبي يا حبيبتى! نسبة كرات الدم البيضاء مرتفعة (٥٢٠٠٠) وده معدل مرتفع جدًا لأن الطبيعي يكون ١١٠٠٠.. كان يحاول أن يُطمئنها بصوته الهادئ ونظراته الحانية ثم أكمل حديثه قائلاً:

- كده عندنا احتمالين، إما إن تكون التهابات حادة في الدم، إما إن يكون لوكيميا يعني سرطان دم ولكنه قابل للشفاء.

ابتسمت سلمى، واستغرب الطبيب تلك الابتسامة التي من المؤكد أنها تداري خلفها وجعاً وأماً، فقالت سلمى:

- شكرا يا أنكل، عن إذنك هاستأذن، وابقى أكلم حضر تك بكرة نشوف الدنيا هتمشي ازاي.

لم يحاول الطبيب أن يمنعها من الانصراف لأنه يعلم تأثير كلامه عليها وتأثير الصدمة التي من الممكن أن تصيبها بلا مبالاة وعدم استيعاب خطورة الموقف. يعلم جيدا أن الإنسان في مثل ذلك الموقف يحتاج أن يجلس مع نفسه ليفكر فيما بعد، فقال لها:

- اتفضلي يا حبيبتى! وهاكلمك بالليل أطمئن عليكى.

خرجت سلمى متماسكة تماسكاً غريباً، لم تبتك ولم تقلق وقالت مرددة الحمد لله، الحمد لله، داخلها شعور غريب، لا تشعر بألم، بل على العكس هى تشعر بعزيمة وإرادة حلت في كيانها كله، كأنها تحمل في طيتها كل الاسلحة للدفاع عن جسمها من احتلال المرض له. لم تستطع تفسير ذلك الإحساس

الغريب سوى أن الله أنعم عليها بالصبر عند صدمتها فاطمأنت أمام ذلك الخطر الكبير.

ذهبت إلى مسجد قريب من المستشفى، صلت الظهر ودعت الله قائلة:

- يارب، أنا مش عارفه هيكون عندي إيه بالطبط، لكن أيًا كان أنا راضية، يارب قدرني إني أرضى مهما اشتد البلاء.

وذهبت إلى المنزل تفكر هل تُخبر أهلها بما حدث؟ أم تنتظر لتتأكد مما أصابها؟ في نفس اليوم ليلاً اتصل بها الطبيب وطلب منها الحضور باكراً، وبعد فحوصات أخرى تأكد أن سلمى مصابة باللوكميميا، صارحها بما تأكد منه وكان ردها:

- الحمد لله!

قال لها الطبيب:

- سعيد أنك متماسكة ومؤمنة وده اللي توقعته، بس ارجوكي يا سلمى لازم تساعديني، السرطان مرض زي أي مرض، وبالإرادة هنقدر نتنصر عليه، صدقيني ده مش كلام وخلاص دي حقايق، وسرطان الدم ناس كثير اتغلبت عليه وبفضل الله تم شفائها.

- إن شاء الله خير!

- طيب الخطوة الأولى لازم نبلغ سيف وماما، تحبى انتي تبلغيهم ولا

أنا؟!

قاطعته سلمى موضحة رغبتها في عدم تبليغها بشيء، راجية الطبيب ألا يقول أي شيء لأحد، ولكنه رفض بشدة وقال إن أهلها سيكونون من أهم الناس القادرين على المساعدة المعنوية والنفسية في العلاج ولا مفر من إبلاغهم، فقالت سلمى:

- خلاص يا أنكل! سييني أنا أبلغهم، ممكن تقولي العلاج هيكون ازاى وهبدأ امتى؟

فطمأنها الطبيب أن حالتها تسمى ايضاض الدم النخاعي الحاد (Acute Myelogenous leukemia – AML)، والمرض تم اكتشافه مبكرًا مما يجعل نسبة احتمال الشفاء منه أكبر، وأن العلاج سيكون أقرص إيماتينيب لإبطاء تقدمه، وإذا لزم الأمر اللجوء إلى العلاج الكيماوي..

انصرفت سلمى تفكر في ذلك الابتلاء الشديد، كيف تسلل ذلك المرض إلى جسدها الضعيف دون رحمة؟ وهل عليها الاستسلام؟ أم التمسك بالأمل والرغبة في الحياة؟ وكتبت في مدونتها وهي تحدث نفسها بصوت مرتفع، كأنها تحاول أن تمنع الأفكار السلبية من السيطرة عليها بذلك الصوت:

"لا، لن استسلم للمرض سأعيش أيامى دون التفكير في المرض أو الموت، سأمنع الخوف من أن يتسلل إلى قلبي، لن أسمح له أن يفتك بي، لن يزرع الشيطان الخوف وعدم الرضا في قلبي، لن أسمح له أن ينزع الإيثار والأمل والصبر من داخلي، سأكون أقوى من المرض وأنتصر عليه"

أصبحت سلمى فى حيرة من أمرها كيف يمكن أن تبلغ سيف ووالدها بإصابتها بذلك المرض؟، كيف لها أن تُهون عليها الصدمة؟، ذهبت إلى المنزل وكانت أمها تعد الطعام، وسيف فى طريقه إلى المنزل، ساعدت والدها فى تجهيز الطعام وهى تفكر كيف ستخبرهما؟ وكيف سيستقبلان كلامها؟ أشفت عليها، فصدمة وفاة والدها كانت كبيرة على الجميع، ومن المؤكد أن صدمة إصابتها بذلك المرض اللعين ستكون أكثر وجعاً وأشدّ ألماً، وجاء سيف وقبّل والده وخته، وتناولوا الطعام. قررت سلمى أن تفتحها فى الموضوع أثناء تناولهم للشاي..

- أنا كنت عايزه أقولكم حاجة مهمة..

فقال الأم:

- قولي يا حبيبتى خير!

فسكتت سلمى، لم تقو على الكلام أو النطق ولو بكلمة واحدة، نظرت أمها إلى عينيها لعلها تفهم، ثم قال سيف:

- فيه ايه يا سلمى قلقيتيني.

فمسحت سلمى دموعه ترقرت من عينيها قائلة:

- مفيش حاجة! بس كان نفسي أقولكم إني بحبكم أوي، بحبكم أكثر من أي حاجة فى الدنيا.

ابتسم سيف قائلاً:

- مهما كان مقدار حبك لنا، فهو ولا حاجة جمب حبنا ليكي يا أجمل سلمى.

أما الام فظلت صامته فهي على يقين أن هناك شيئاً خفياً لم تقله سلمى ..
مر اليوم كاملاً من دون أن تقول سلمى لهما شيئاً، هي قوية وراضية
بالابتلاء، وتعلم أيضاً شدة إيمانها ولكنها لا تثق بردة فعلها، فاختارت
تأجيل الأمر حتى تتاح لها فرصة مناسبة ..

بعد يومين... اتصلت سلمى بسيف وطلبت منه المقابلة خارج المنزل
لأنها تريد التحدث معه، وبالفعل تحرك سيف على الفور في طريقه إليها في
المكان المحدد، وجلسا معاً ..

سلمى متماسكة إلى أبعد سماء، ملامح وجهها طبيعية جداً، لا يوجد أي
علامات توتر أو قلق عليها ..
بدأت سلمى كلامها:

- سيف! فيه موضوع مهم لازم أقوهولك، بس ياريت قبل أي كلام
تكون متفهم كلامي بإيمان وثقة بالله، وتبقى متأكد إن الأعمار بيد الله، وربنا
قادر على كل شيء ..

فانفزع سيف قائلاً:

- فيه إيه!، ماما جرى لها حاجة؟!!

فأمسكت سلمى بيد أخيها المرتعشتين قائلة:

- لا يا حبيبي ماما بخير، أرجوك اهدى عشان تقدر تسمعني .

فقال سيف:

- أُمال إيه يا سلمى، قلقتيني!!

فقالت سلمى بابتسامة يملؤها الرضا:

- أنا عرفت إني الحمد لله، الحمد لله، الحمد لله عندي لو كيميا.

حدّق سيف في وجهها في ذهول، دون أن يتفوّه بكلمة، فقالت سلمى:

- سيف سامعني؟!

ظل سيف صامتاً لم يحرك حتى رأسه سواء بعلامة الإيجاب أو النفي،

فأكملت سلمى قائلة:

- ماتوقعتش رد فعلك ده، اللي أعرفه عنك إنك قوي ومؤمن، توقعت

إنك هتقويني مش تسكت!

فقال سيف بصوت مرتعش وعيناه تملؤهما الدموع بعد أن اقترب ومد

كفه يلتقط يديها:

- أكيد فيه حاجة غلط يا سلمى، قومي بينا نروح لأنكل رمزي، عشان

يشبتلك إنك غلطانة.

ونفض سيف من مقعده، فضغطت سلمى على يده تدفعه للجلوس مرة

أخرى وهى تبتسم قائلة:

- دكتور رمزي عارف كل حاجة وهو اللي هيعالجني.

نار أمسكت بزوايا قلبه بعد أن سمع كلمات أخته ومن ثم استسلم لليأس
قائلاً:

- أنا مش مصدق اللى بسمعه، احكيلى كل حاجة من الأول، وفهميني،
أنا مش مستوعب ولا فاهم أي حاجة!

وبعد ساعتين من الكلام المتواصل بين سلمى وسيف محاولة منها ترتيب
خطة مناسبة لإبلاغ أمهما بحالة سلمى، استقرا أن سيف هو من سيبلغها
الأمر في الوقت المناسب..

تلك المحنة جعلت سلمى تعيد ترتيب أولوياتها، شعرت بتقصير تجاه
أمها وسيف، وشعرت أيضا بتقصير تجاه صديقتها المقربة دينا، أدركت أن
الأيام تمرُّ سريعاً فلقد أصبحت أماني ابنة دينا في الثالثة من عمرها، فهاتفت
سلمى صديقتها دينا واتفقتا على المقابلة في النادي ليلاً..

وإثناء ارتداء سلمى لملابسها لتتجه إلى مقابلة صديقتها إذا بباب غرفتها
يفتح، وتُطل عليها أمها بابتسامة ظاهرها جميلاً لكن داخلها مرارة، واقتربت
من ابنتها، واحتضنتها حضناً دافئاً، وأجهشت في البكاء، فعلمت سلمى أن
سيف قد أبلغ أمها بحقيقة مرضها فاحتضنت أمها أكثر وبكت معها..

بكاء سلمى لم يكن حزناً لمرضها، ولم يكن عدم رضا بقضاء الله، ولكنه
كان خوفاً على أمها من الصدمة، خوفاً على أمها من اليوم الذي ستفارقها فيه
سلمى، خوفاً على أمها من المجهول وما سوف يحدث غداً...

مسحت الأم دموع ابنتها التي تذبحها ثم وضعت كفها على كف سلمى
قائلة:

- كفاية دموع يابنتي! ربنا كريم! وان شاء الله هيشفيكي وتفضل ضحكة
أجمل سلمى منورة حياتنا!

فابتسمت سلمى قائلة:

- ضحكتي هتفضل طول ما انتي وسيف بتضحكوا.

لم تعرف الأم ماذا تقول، فحاولت أن تنهي ذلك الموقف الصعب قائلة:

- انتي اتأخرتي أوي يا حبيبتى، يالا زمان ديا مستنياكي.

قَبَلت سلمى أمها وانصرفت داعية الله أن يُخفف من صدمة أمها، وأن
يرزقها الثبات والرضا بذلك البلاء العظيم، واستمرت دمعات الأم تنساب
في هدوء على وجنتيها .. ابتسمت سلمى وعادت إلى أمها ومنحتها عناقا
سريعا، وأخبرتها أنها لن تتأخر وأنها تريد أن تأكل مع أمها وسيف البيتزا
التي تعشقها من يد أمها عند عودتها ..

دفعت سلمى بيديها الباب الزجاجى للمقهى الذى ستقابل فيه صديقتها،
وفورا وقعت عينيها على ديا وابتتها، فركت أمانى الصغيره إلى سلمى
وقابلتها بالأحضان والقُبَلات الكثيرة ..

كانت سلمى صامته تحسني كوبًا من القهوة التي تعشقها، أما ديا
فكانت تنظر إليها بفضول واستغراب في ذات الوقت، فقد لاحظت أن وجه

صديقتها ليس على ما يُرام، وسألتها عن سر ذلك، لكن سلمى لم تقل لها شيئاً
وتحججت بأنه إرهاق لقلّة نومها ..

فشلت سلمى في إخفاء ما بداخلها وظهرت أمارات الحزن على وجهها،
راضية بما قسمه الله له ولكنها حزينة إلى أبعد الحدود، لا تعلم هل هي حزينة
على نفسها فحسب، أم حزينة خوفاً على أهلها ومن يحبونها من احتمالية
فراقها..؟

ثم حكت ديباً لصديقتها عما يشغلها تلك الفترة، فقد تغيرت ديباً كثيراً كما
يتغير كل شيء من حولنا.. وها هي الآن تبحث عن عمل لأن ابنتها تستطيع
أن تذهب إلى الحضانة، فهناك من الوقت ما يسمح لها بالعمل وتحقيق ذاتها..
وقالت لها سلمى أنها بإمكانها مساعدتها، وأنها ستتصل بخالها ليساعدها
على إيجاد فرصة عمل مناسبة لها ..

انتهت المقابلة، وفور انتهائها اتصلت سلمى بخالها الذي وعدها بتوفير
فرصة عمل لصديقتها..

وبالفعل قبلت للعمل كمحاسبة في إحدى الشركات وبدأت مشوارها
العملي..

حين ندرك اقتراب لحظات الفراق .. نشعر وكأننا في حاجة شديدة للبقاء
قريبين من كل من أحببناهم بصدق .. وكأننا نشبع أنفسنا بوجودهم .. وهذا
بدقة وبالتحديد، ما شعرت به سلمى ..

قابلت ديمًا مشاكل كثيرة مع الناس في التعاملات، رغم أنها شخصية اجتماعية مرحة، ولكن ما حدث لها وتجربتها مع هيثم ونرمين أثرت بالسلب على حياتها، أصبحت تخاف الناس وتخاف التعامل معهم، أصبحت تتعامل بجفاء مع من حولها رغم أنها شخصية حنونة جدًا، أصبحت تخشى من تكوين علاقات وصدقات جديدة وتكتفي بمن هم أصدقاؤها منذ فترة.. تغيرت صفاتها الجميلة ..

حاول عمرو كثيرًا كسر ذلك الحاجز النفسي الذي نشأ بداخلها، محاولاً إقناعها بأن هناك أشخاصًا صادقين يحبون الخير للآخرين على عكس هيثم ونرمين، لكنها تمسكت برأيها أن الأشخاص الجيدين قليلون جدًا، وأنها لن تسمح بخداعها باسم الصداقة أو أي مسمى آخر مرة أخرى. وكانت بالفعل سعيدة بتغيرها وترى الراحة في ذلك القرار وتلك المعاملة الجافة مع الناس واكتفائها ببيتها وزوجها وابنتها والقليل من الأهل والأصدقاء ..



بدأت سلمى رحلة علاجها وحالتها مستقرة جدًا، لا تشعر بالتعب إلا في فترات قصيرة، ولم يكن لذلك المرض أي تأثير سلبي على حياتها وتصرفاتها، بالعكس تمسكت بحلمها أكثر وحاولت أن تجتهد بشتى الطرق لتحقيقه خوفًا منها أن يمر عمرها سريعًا وهي لم تحقق شيئًا مما تتمناه..

حدّد لها ميعاد في قناة تليفزيونية أخرى لتقوم ببعض الاختبارات، وبالفعل حضرت أول مقابلة وكان لديها فكرة البرنامج الذي دوّمًا حلمت

به، قابلت أول مرة مسؤول البرامج في القناة الذي شعرت وقتها أنه شديد الإعجاب بشخصيتها وفكرة برنامجها، وطلب منها الحضور في اليوم التالي حتى يقوم باختبار الكاميرا لها، وعندما ذهبت طلب منها أن تقول فكرة البرنامج وتحدث عن نفسها ليسجلها صوتاً وصورة في الاستوديو وعرض الفيديو على المسئولين..

وبعد التسجيلات أخبرها أن تنتظر مكالمة هاتفية، لكن مر شهر والآخر دون أي مكالمات مما أشعرها ببعض الإحباط، ولكنها أبداً لم تيأس وقررت أن تستمر في التقديم في قنوات أخرى..

مر عام كامل على ذلك الحال، تجتهد سلمى وتعمل ما بوسعها للعمل في المجال الذي طالما حلمت به دون أي جدوى، وحالتها الصحية تأثرت وأصبح العلاج بالدواء وحده غير كافٍ، مما اضطر الطبيب لاستخدام العلاج الكيماوي..

عرض عليها أن تكون دائماً على تواصل بمن هم في نفس حالتها، وبمرضى السرطان عموماً حتى يساعدوا بعضهم بعضاً على التفاؤل، ويكونوا يداً واحدة في محاربة ذلك المرض اللعين، وبالفعل حضرت سلمى أول لقاء بمن هم مثلها، كانت متوترة وخائفة ولكن طمأنها الطبيب صديق والدها أنه سيكون معها، وأقنعها أن ذلك الأمر مفيد لها فعندما يقابل المريض من أصحابهم نفس مرضه فمن الممكن أن يقلل ذلك من معاناته لأنه سيشعر أنه ليس وحده، فأحياناً المشاركة في البلاء تقلل المعاناة.

كان الأمر مقنعاً بالنسبة لها .. فذهبا إلى المكان المحدد والتقت بمجموعة كبيرة من الشباب والبنات المصابين بذلك المرض - كانوا من مختلف الأعمار، ومختلفين أيضاً في أنواع الإصابات بالمرض وطرق العلاج، ولكنهم تجمعوا على شيء واحد وهو قرارهم بالانتصار على ذلك المرض وأسموا أنفسهم "محاربو السرطان" وليسوا مرضى..

الثقة بالله والثقة بأنهم قادرون على النجاح في ذلك الامتحان الصعب هي أهم ما يميزهم، لا يختلف نوع الألم، ولا يُفرق المرض بين أنثى وذكر في تساقط الشعر بعد التعرض للعلاج الكيميائي، الألم واحد، والخوف واحد من مصير مُشابه يتوقعه معظم المصابين، يفرق بينهم فقط قوة الإرادة التي تميز أحدهم عن الآخر، وحدها الرغبة في الحياة هي التي تزيد من فرص نجاة مريض وتُنقِص من فرص نجاة الآخر. وهي الرغبة التي يختلف التعبير عنها من مريض لآخر، بعضهم من يتمسك بالحياة، يحتضن أهله وأولاده، والبعض الآخر من يواظب على العلاج ويواجه المرض بالضحك والتفاؤل. بينما يختار البعض بعث رسائل للمرض، رسائل مكتوبة ومختومة بأنهم "المحاربون" وسوف يواجهون المرض ويتصرون عليه..

وبعد ثلاث ساعات مروا وكأنها ثلاث دقائق طلبت أن تنتهي لقاءها معهم ببعض كلمات:

- شكراً جداً يا أنكل رمزي أنك عرفتني على الناس الجميلة دي، وشكراً على وجودي معاكم، أنا اتعلمت منكم في الكام ساعة دي حاجات كثير

أوي، وهاخرج من هنا إنسانة جديدة، عندها ثقة أكبر في ربنا، وعندها ثقة في نفسها إنها هتقدر تتغلب على المرض، لازم كلنا نواجه المرض ومانستسلمش، بجد الابتلاء بيخلي الإنسان قوي أوي، أقوى مما هو نفسه ممكن يتخيل، لازم نعرف إن السرطان مش نهاية الطريق، السرطان بداية جديدة، بداية جديدة في علاقتنا بربنا، بداية جديدة في نظرنا للحياة، بداية جديدة في تفكيرنا ازاى نسيب أثر جميل وبصمة قبل ما نفارق الحياة سواء دلوقتي أو بعد ٥٠ سنة، لازم نبقي عارفين إن ربنا مش بيعاقبنا، ربنا بيختبر قوة إيماننا وبيزيد من حسناتنا، زي ما رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام قال " ما من مسلم يُشاك شوكة فما فوقها إلا رفع الله بها درجة وحط بها خطيئة " صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، مفيش حاجة تاني أقدر أقولها تاني غير يارب..

كانت ساعات ملهمة ،، قضتها مع المحاربين عادت بعدها إلى منزلها حاملة حفنة من المشاعر المتناقضة، رضا بقضاء الله وفرحتها بذلك الابتلاء الذي سيزيد من حسناتها إن شاء الله إن صبرت، و خوف، ليس خوفاً من الموت، ولكنه خوف من أن تُنسى، من ألا تجد من يدعو لها، أو من أن يدعو لها أصدقاؤها وأهلها شهراً والآخر ثم النسيان وسط مشاغل الحياة..

قررت ألا تترك نفسها لذلك الإحساس ولا تترك نفسها للخوف وتعمل ما بوسعها وأكثر لتصل إلى الناس وتفيدهم بأفكارها وبأفكار البرامج التي تتمنى تقديمها، لعل وعسى يستفيد بها أحد ويتغير مجرى حياته للأفضل

ويظل الباقي من عمره يدعو لها، فعاجلاً أم آجلاً سنموت جميعاً، لا أحد مخلد، ولكن الفرق بين شخص وآخر هو الأثر الذي يتركه في قلوب من حوله، الفائدة التي يتركها يستفيد بها غيره فتعيش سيرته وأثره إن مات. قررت سلمى أن تسعد من حولها قدر الإمكان، تسعد أخاها وخطيبته، تسعد أمها التي هدّها علمها بمرض ابنتها، تسعد دينا وخديجة فهما أقرب أصدقائها..

جاء موعد عيد ميلاد والدتها الذي لم يحتفلوا به منذ أكثر من ست سنوات منذ توفي والد سلمى وسيف، ولكن هذا العام قررت سلمى أن تسعد أمها واتفقت مع سيف أن يبلغ أقاربهم ليحتفلوا بعيد ميلاد والدتها في المنزل بعد أيام. احتارت سلمى ماذا تقدم لأمها كهدية، فأى شيء لا يمكن أن يكفي الأم أو يرد جزءاً صغيراً من أفضالها على أولادها. بعد موعد الدرس الديني سألت خديجة عن رأيها فقالت خديجة:

- أنا هقولك يا سلمى تجيبلها إيه، فاضيه ولا وراكي حاجة!؟

أجابت سلمى بأنها لا يوجد لديها أي مواعيد اليوم، فأخذتها خديجة واتجهت بها إلى المهندسين وركنت السيارة أمام مكان ما تحت الإنشاء، وأخذتها إلى داخل المكان قائلة:

- ده مسجد يا سلمى، المفروض خلال ٦ شهور وقبل رمضان يكون اتبنى، إيه رأيك.

استدارت سلمى نحوها متسائلة :

- مش فاهمة رأبي في ايه؟!!

قالت خديجة : الفلوس اللى كنتى هتجيبى بيها هديه لمامتك، حُطِها في المسجد ده، صدقة جارية باسمها تنفعها في الدنيا والآخرة بعد عمر طويل، الصدقة دي فضلها كبير أوي، ده الرسول عليه الصلاة والسلام قال: (سبعٌ يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته: مَنْ علَّمَ علماً، أو أجرى نهراً، أو حفر بئراً، أو غرس نخلاً، أو بنى مسجداً، أو ورث مصحفاً، أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته)، ربنا يدي لطنط العمر الطويل بس احنا عايشين النهاردة ونقدر نعمل حاجة محدش عارف بكرة فيه ايه، فهاينفesch نتأخر في عمل أي شيء ينفعنا في الآخرة..

ابتسمت سلمى لصديقتها وفرحت جدًّا بتلك الفكرة، فالورد الذي كانت تفكر أن تعطيه لأمها سيدبل وأي هدية أخرى ستستعملها أمها فترة وتستفيد بها ثم تنتهي ذات يوم. أما ثواب الصدقة الجارية سيستمر، ويزرع البركة في حياتها ويُفيدها بعد مماتها..

فقررت سلمى أن تفعل ما نصحتها به صديقتها، وأيضًا ستُعدد النوايا بأن تكون تلك الصدقة جارية لها ولأمها وأبيها رحمه الله وسيف، وأن تكون الصدقة بنية أن يبارك الله لهم في حياتهم ويرزقهم حسن الخاتمة، ويوفق سيف وتحل مشكلة نجاحه وأيضًا لشفائها، وأن يفك الله ما بهم من كرب، فالله يُحب تعدد النوايا ويجوز ذلك في الصدقات..

مر شهران والحال كما هو بالنسبة لسلمي، تتلقى علاجها دون تعب أو اعتراض على حكمة الله، وتسعى إلى تحقيق الحلم.

أما سيف فقد قضت المحكمة بتصحيح ورقة امتحانه بواسطة دكاترة آخريين و ثبت أنه يجيب بالإجابة المثالية ولا يُعطى الدرجات، فعوقب الدكتور معدوم الضمير وتوقف عن العمل وتخرج سيف رسمياً من كلية الهندسة وحدد ميعاداً مع أهل حنين لزواجهما، فلا يوجد أي عائق للتأجيل، لقد تخرج وله عمله الخاص الذي يكسب منه الكثير وينجح فيه وجهاز شقة فخمة في مكانٍ راقٍ..

في عمل ديبا الجديد جمعتها الصدفة بزميلتها القديمة لبنى التي تعمل في نفس الشركة، اتفقتا سريعاً على أن اللقاء بعد انتهاء الدوام..

وبالفعل التقتا في أحد الكافيهات واسترجعتا الذكريات حتى جاءت سيرة نرمين، وكانت صدمة بالنسبة لديبا أن تسمع أخباراً سيئة عن نرمين، حيث توقف عقل ديبا عن التفكير، وتساءلت هل أنا سعيدة أم حزينة لسماعي تلك الاخبار؟

وقعت نرمين فريسة لشخص سيء السمعة، تعلق به قلبها سريعاً وأحبه حد الثمالة، بل ذابت فيه عشقاً وتمت خطبتها له سريعاً، بل وصل الأمر أنها دخلت معه في شراكة بمشروع وساهمت بكل ميراثها من أبيها، حيث

ساهمت بأكثر من ٨٠٪ من رأس المال وأعطت لخطيبتها كل الصلاحيات ومن أهمها إصدار الشيكات بتوقيعه منفردًا وسحب الأموال من حساب الشركة بتوقيعه منفردًا.

فشل المشروع وزادت الديون، فقام خطيبتها بالقفز من السفينة قبل أن تغرق وقام بسحب الأموال المتبقية في الشركة، وفر هاربًا تاركًا لها الديون المتراكمة، وأرسل لها خطابًا يبلغها بأنه لا يستطيع تحمل الديون، ولا حل لديه سوى الهروب والنجاة بنفسه. حاول خطيبتها من خلاله أن يُراعي ما تبقى لديه من ضمير أصبح في سكرات الموت، فاختم الخطاب بإعلانه لها عن فسخ الخطبة معلنًا بذلك في ذات الوقت عن موت ضميره نهائيًا.

شربت نرمين من نفس الكأس الذي سقت منه صديقتها، كأس الغدر، كأس الأنانية وانعدام الضمير، لم تتعاطف ديبا مع ما سمعته، فجرحها من نرمين جعلها لا تشفق عليها في أي شيء، فهذا عدل الله في الأرض، عندما تكذب سيُكذب عليك، عندما تخون ستُخان أشدَّ خيانة، وعندما تضر شخصًا وتجرح مشاعره فلا بد أن يأتي اليوم الذي تُجرح فيه.

وأثناء قيام ريهام بسر د ما حدث لنرمين من تعب نفسي و ألم، شعرت ديبا بسعادة بالغة وشعرت بنشوة ولذة ملأت الأرض وما عليها ولسان حالها يقول:

"يا الله، ما اعدلك، يا من سميت نفسك العدل" ولكن، أصابها الذهول فجأة وتمنت لو أن أمامها امرأة لتتنظر فيها فورًا، وقالت في نفسها: ماهذا؟

هل أنا ديبا؟ أين قلبي؟ أين حبي للناس وتسامحي؟ هل أنا سعيدة بما حدث لرمين؟ هل وصلت قساوة قلبي إلى هذا الحد؟ كيف تملأ الشجاعة قلبي إلى هذا الحد؟ هل هذا غضب من الله، هل ينطبق على حالي قول الله تعالى "ثم قست قلوبكم بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة...."؟

واستكملت لبنى سرد ما حدث لرمين قائلة:

ووالدة نرمين ما قدرتش تتحمل اللي حصل لبنتها...

وهنا كانت الصدمة لديها فقالت لها فوراً:

- مالها مامتها؟ حصل ايه؟

كانت ديبا تعشق والدة نرمين وتعتبرها مثل والدتها، وطلبت من ريهام أن تستكمل السرد، فقالت ريهام أن والدة نرمين لم تتحمل ما حدث لابنتها ونُقلت فوراً إلى المستشفى وأوصى الأطباء بضرورة إجراء عملية خطيرة في القلب.

شُلَّ تفكير ديبا وتمنت لو أن تكون بجوار والدة نرمين الآن، وانتهى اللقاء بين ريهام وديبا على وعد أن تتقابلا سوياً في الأجازة الأسبوعية.

عادت ديبا إلى بيتها والحيرة مسيطرة على تفكيرها، كيف تطمئن على والدة نرمين؟ وفكرت في زيارتها في المستشفى ولكنها خافت أن تفهم هذه

الزيارة على أنها شماتة، حتى هداها تفكيرها أن تكتفي بإرسال رسالة نصية على هاتف والدة نرمن لعلها تقرأها وتعلم ما تُكن لها دينا من حب، وبالفعل أرسلت الرسالة، وبالفعل تم قراءة الرسالة ولكن ليس من والدة نرمن، بل من نرمن التي قامت بالرد ردا صادما على الرسالة قائلة:

- موبايل ماما مش معاها، قلقانة عليها ازاى! وانتي كنتي عايزة تسجني بنتها؟

لم تُعر دينا اهتماماً للرسالة حيث إن ما تعرضت له من صدمات أفقدها ما تبقى لديها من إحساس، ولم تتعجب كثيراً. وفوروا قامت دينا بمسح الرسالة وذهبت إلى فراشها، حيث لا داعي في أن تفكر في شيء لا جدوى منه.

وبرغم مرضها لم تيأس سلمى .. استمرت في التقديم لكثير من القنوات، وبداخلها يقين أن حلمها يوماً ما سيكون واقعاً، في ذلك الوقت شعرت بحاجتها إلى الكتابة، فالكتابة أصبحت لها الصدر الخاني الذي تلجأ إليه عندما تريد التعبير عما بداخلها، هي صوت تنطق به عن طريق يدها وقلمها.. أمسكت القلم وكتبت مقالاً جديداً بعنوان "رسالتي لكل من يظن أن أحلامه مستحيلة".

"لا أنكر أنني أصبْتُ بالإحباط، وأصبْتُ بخيبة الأمل لفترة ما، لكنني سرعان ما عدتُ إلى صوابي، فكيف تكون أحلامي مستحيلة ويوجد خالقٌ يقول لما ومن يشاء "كن.. فيكون"؟

كيف أراها بعيدة والله أنعم علينا بالدعاء؟ كيف أترك الأمر لخلقه الذين لا يملكون نفعاً ولا ضرراً، فأنال منهم الإحباط وخيبة الأمل؟ كيف أضع أحلامي بين يدي مخلوق وأظن أنه هو القادر على مساعدتي رغم أن خالقي بيده كل شيء؟

قررتُ ألا أستسلم، قررتُ ألا أترك الظروف تتحكم بي وتُطيح بأحلامي وطموحاتي، قررتُ أن أحلم وأحلم وأسعى جاهدة لتحقيقها، وسواء حققتها أم لا، فيكفيني شرف المحاولة وعدم الاستسلام..

أريدك أن تعي يا عزيزي، سواء كنت في عمري أو أكبر أو أصغر مني سنًا، أنه لا يوجد من يستطيع حرمانك من أحلامك، ولا يحق لأي شخص أن يكسر ما بداخلك من حلم، وبالصبر والاجتهاد تصبح الأحلام حقيقةً والواقعُ أجمل..

أتمنى أن تصبح أحلامكم حقيقة.. سلمى عمر"

اتصلت بسلمى قناة فضائية معروفة سبق لها أن قدمت فيها عشرات المرات بلا جدوى ولكن شاء الله أن تُقبل فيها، توقف خيالها برهة لا تصدق ما يحدث معها، وطافت بخيالها تتخيل كيف سيكون برنامجها، قفزت إلى رأسها فكرة تدعو إلى أن نرى كل ما هو جميل في شبابنا وبناتنا، ويقسم البرنامج إلى فقرات، يتناول قصص نجاح لشباب صغير، تتناول فقرة عن

الطرق المؤدية للنجاح وكيف لنا أن نُصر على تحقيق الحلم، و فقرة عن الأخلاق وأهميتها في مجتمعاتنا وعلاقتنا مع الآخرين، وأخيراً جانب ديني باستضافة داعية إسلامي قريب من الشباب مرة كل أسبوعين، ليتحدث معهم عن مشاكلهم وكيفية إيجاد الحلول لها.

ذهبت إلى القناه في الموعد المحدد وعرضت فكرتها كاملة وتم قبولها والترحيب بها والتحمس لتنفيذها ..

نعم تحقق الحلم الذي ظلت عشرين عاماً تحلم به منذ أن كانت في المرحلة الابتدائية، تحقق الحلم الذي لم تملّ ولم تكفّ في الدعاء بأن يرزقها به الله، تحقق ما حلمت به يوماً أن تغير شيئاً ولو صغيراً في تفكير الشباب وأن يكون لها أثرٌ في حياة غيرها..

وجاءت أول حلقة من البرنامج الذي يُبث على الهواء مباشرة، وقبل الهواء بعشر دقائق أخذت سلمى تستعرض حياتها كلها أمام أعينها، تتذكر كم واجهت من مصاعب، تتذكر إيهاب وما فعله بها وبمشاعرها، تتذكر كم التنازلات التي طلبت منها، تتذكر ذلك الجهاد الطويل الذي عذبها خلال رحلة حلمها..

كان الجميع في انتظار ذلك اليوم، سلمى وأقاربها، أصدقاؤها خديجة وديما وعمرو، وجميع محاربي السرطان، وكانت الحلقة الأولى وموضوعها "كيف تترك أثراً وتحقق حلمك وتتحدى أي صعوبات مهما كانت درجتها

- سلمى ناقص نص دقيقه ونكون على الهوا، استعدى... ٣... ٢... ١ " قال المخرج...

أطلت سلمى بابتسامتها الرقيقة قائلة:

- مساء الخير، سعيدة جدًا إنى هاكون معاكم في أول حلقة من برنامج "هنعيشها صح"، حلمت كثير واستنيت كثير اليوم ده والحمد لله ربنا كرمني إنى أحط رجلي على أول الطريق، عشان كده هيكون تحقيق الحلم أول حلقة عشان نفسي الكل يفرح بتحقيق حلمه، نفسي محدش يقف ويأس مهما مرت سنين أو قابل مشاكل، كلنا عندنا مشاكل كبيرة، ممكن مشكلتك تكون في الوحدة، ممكن تكون في ضعف الإمكانيات، ممكن تكون في الظروف الصعبة أو المرض، حاجات كثير أوي في الحياة بتوجعنا، والوجع ده لازم ما يضعفناش، لازم يخلينا أقوى ويخلينا أكثر إصرار وعزيمة عشان نحقق حلمنا..

انت محتاج تتعب عشان تقدر تحقق الحلم.. الحلم اللي عشت سنين تعافر عشان تقدر تشوفه حقيقة ملموسة..

النهاردة حلمي أتحقق بالوقوف قدام الكاميرا والكلام مع حضراتكم، وانت كمان بكرة حلمك هيتحقق بس اوعى تياأس.. كمل ومتخليش صوت يأخرك، ولا كلمة توقفك.. إنت هتقدر بس دايمًا قول يا رب..

هنطلع أول فاصل ونرجع نستقبل ضيفنا اللي هينورنا ويشرفنا النهاردة الكاتب والروائي الاستاذ حسام الدالي وحديث خاص عن مستقبل الرواية العربية..
ابقوا معنا..